كلية الآداب

قسم علم الاجتماع

محاضرات في الأنثروبولوجيا العامة

إعداد

د.هاله على محمد

مدرس بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

٢٠٢٣_٢٠٢٤م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بيانات الكتاب

الكلية : الآداب

الفرقة : الأولى

التخصص: علم الاجتماع

تاريخ النشر : الفصل الدراسي الأول

للعام الجامعي ٢٠٢٣_٢٠٢٤

أستاذ المقرر : د.هالة على

المحتويات

المحتوى	الصفحة
الفصل الأول : ماهية الأنثروبولوجيا	**4**
الفصل الثاني :الفروع الحديثة للأنثروبولوجيا	**33**
الفصل الثالث : أهم مفاهيم علم الأنثروبولوجيا العامة	**45**
الفصل الرابع : المنهج وأدوات البحث فى الانثروبولوجى	**68**
الفصل الخامس : الأنثروبولوجيا ودراسة النظام القرابى	**102**
الفصل **السادس : الانثروبولوجيا ودراسة الثقافة**	**139**
المراجع.....	**157**

الفصل الأول

ماهية الأنثروبولوجيا

مقدمة

مـر علـم الأنثروبولوجيـا بمراحـل متعـدّدة أسـهمت فـي نشـأته وتطـوّره واسـتكمال عناصـره إلـى حـدّ بعيـد، بـدءاً مـن القـرن الثـامن عشـر وحتـى الوقت الحاضر.

لقـد اتّسـعت مجـالات البحـث والدراسـة فـي هـذا العلـم الجديـد، وتـداخلت موضـوعاته مـع موضـوعات بعـض العلـوم الأخـرى ، كمـا تعـدّدت مناهجـه النظريـة والتطبيقيـة، تبعـاً لتعـدّد تخصّصـاته ومجالاتـه، ولا سـيّما فـي المرحلـة الأخيـرة حيـث التغيـرات الكبيـرة والمتسـارعة، التـي كـان لهـا آثـار واضحة في حياة البشر كأفراد و مجتمعات .

وبمـا أنّ الأنثروبولوجيـا تهـتمّ بدراسـة الإنسـان، شـأنها فـي ذلـك شـأن العلـوم الإنسـانية الأخـرى، فهـي تـرتبط ارتباطـاً وثيقـاً بـالمجتمع الإنسـاني الـذي توجـد فيـه، حيـث تعكـس بنيتـه الأساسـية والقـيم السـائدة فيـه، وتخدم بالتالي مصالحه في التحسين والتطوير .

معنى الأنثروبولوجيا

إن كلمـة الأنثروبولوجيـاAnthropology ترجـع الـى كلمـة يونانيـة الأصـل مكونـه مـن مقطعـين الأول هـوAnthropos أى الانسـان والثـانى هـو Logy العلـم أو الدراسـة ، وبهـذا المعنـى فـإن الأنثروبولوجيـا تشـير

إلى علم الإنسان، أو المعرفة المنظمة عن الإنسان، وهي تجمع في صيغة واحدة الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافية للإنسان .

وتعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة .

ويرى العالم الأمريكي فرانز بواس بأنه علم يدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعيا حيث يتم دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية دون تحديد زماني أو مكاني.

يتضح من ذلك أن موضوع هذا العلم هو الإنسان، فالإنسان هو المحور الأساسي وهو الذي يحدد موضوعات هذا العلم بصرف النظر عن الزمان والمكان. كان في بدايته يركز على دراسة الإنسان وأصوله منذ أقدم فترات التاريخ وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم وذلك من خلال الحفريات والآثار.

وقد اهتم هذا العلم بدراسة المجتمعات البدائية، حيث يرى بعض الأنثروبولوجيين أن ما يميز هذا العلم عن العلوم الأخرى، كعلم

الأجتماع والأقتصاد و السياسة والتاريخ وعلم النفس والجغرافيا هو تركيزه على المجتمعات البشرية البدائية. ولكنه حديثا فقد شمل بدراستة المجتمعات غير البدائية المعاصرة أيضا ، كالقروية والبدو الرحل، والمجتمعات الحيدثة المتحضرة .

تاريخ استخدام مصطلح الأنثروبولوجيا

أن تاريخ استخدام مصطلح الأنثروبولوجيا قد لفت انتباه كثيرين من العلماء والباحثين للتعرف على هذا العلم وفهم موضوعه :-

- هادون أبرز هؤلاء العلماء، اذ أرجع تاريخ استخدام هذا الاصطلاح الى الحضارة الاغريقية والحضارة الرومانية فقد لاحظ أن أرسطو قد استخدمه للأشارة الى الشخص الذي يتحدث عن نفسه .
- وفى عام ١٥٠١ ظهر الاصطلاح الانثروبولوجيون كعنوان لكتاب المفكر هندت حيث تكلم فيه عن الخصائص التشريحية لجسم الانسان .
- وكذلك ذكر المفكر كوبيلا ١٥٣٣ هذا الاصطلاح فى كتابة بعنوان LAnthropologia الذى يدرس فيه الصفات الشخصية الفردية
- وقد ظهر اصطلاح (أنثروبولوجيا) فى اللغة الانجليزية أول مره كان فى عام ١٦٥٥ فى كتاب مجهول المؤلف يحمل عنوان

Abstracted Anthropology ويدور حول الطبيعة البشرية ويتناول قسمين أولهما خاص بعلم النفس حيث يناقش فيه الطبيعة البشرية ، وثانيهما يختص بعلم التشريح .

- ومنذ ذلك الحين بدأ مصطلح الأنثروبولوجيا ينتشر فى الاستخدام والأوساط العلمية تدريجيا الى أن صار له مفهوم واضح ومحدد المعالم خلال القرن التاسع عشر .[١]

لهذا فإن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولاً على الإطلاق. وهناك دلائل وشواهد عديدة على هذا الشمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، ثم إن الأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة أي مجموعة من الناس أو أي حقبة تاريخية. بل تهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بدرجة اهتمامها نفسها بالأشكال المعاصرة ، وعلى هذا فإن مصطلح "الأنثروبولوجيا" مصطلح شامل وواسع ؛ إذ يشمل دراسة الموضوعات المختلفة، كالتطور البيولوجي والحضاري للإنسان .[١]

برغم أن الإنسان يدرس من قبل علوم أخرى كعلم النفس وعلم

[١] على المكاوى :دراسات فى الانثروبولوجيا الثقافية ، ص١٥

الاجتماع والتاريخ وعلم التشريح والجغرافيا البشرية والسياسية وعلم الاقتصاد، وعلم الأديان، إلا أن علم الأنثروبولوجيا ينفرد بخصائص منهجية في دراسة الإنسان، يتحدد من خلالها سمات هذا العلم، عن بقية العلوم الأخرى ومن **أهم هذه الخصائص** ما يلي:

١- علم الأنثروبولوجيا يدرس المجتمع ككل دون التركيز على جانب محدد بذاته. وبذلك فهو يستخدم المنهج الكلي في الدراسة فهو يدرس المجتمع من عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته...إلخ.

٢- يستخدم علم الأنثروبولوجيا المنهج المقارن في دراسة الأنسان فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا. حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الأجتماعية وثقافاتها حتى يمكن التوصل إلى تعميمات علمية مجردة تحدد وخصائص تلك المجتمعات.

٣- تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الأجتماعية المعاصرة على ما يسمى بالبحث الحقلي (field Research) أو المعانية الميدانية للنموذج المختار للدراسة.

٤- من أهم الخصائص التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الأنسانية هو اختياره لنوعية معينة من النماذج المجتمعية التي

تدرسها. وقد كان النموذج المختار للدراسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هو المجتمع الذي يوصف بأنه بدائي (Primitive society) لأنه مجتمع صغير نسبياً ومحدود الكثافة تسهل دراسته دراسة كلية شاملة.

٥- يدرس هذا العلم الأنسان من جانبه الفردي والأجتماعي الثقافي معاً.

أما من حيث موضوع العلم

إن موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان وأعماله ، كل منجزاته المادية والفكرية أى الدراسة الشاملة للإنسان فهى أكثر العلوم التى تدرس الإنسان وأعماله شمولاً وهناك دلائل عديده على هذا الشمول: فالأنثروبولوجيا تجمع فى علم واحد بين نظرتى العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية . وهناك دلائل وشواهد عديّدة على هذا الشمول؛ فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها على سلوك الإنسان في المجتمع.

الا ان الانسان مفهوم واسع للغاية ، وبالتالى يجب تحديد أبعاده حتى يتسنى لنا تمييز اهتمامات علم الأنثروبولوجيا بالانسان ، عن اهتمامات العلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى التى تدرس الانسان أيضا . وفى النهاية نلاحظ أن الدراسات التى أجراها علماء

الأنثروبولوجيا على الانسان أظهرت جوانب لم تظهرها أو تتناولها علوم انسانية أخرى كعلوم الطب والنفس والاقتصاد وغيرها .

ثم إن الأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة أي مجموعة من الناس أو أي حقبة تاريخية. بل تهتم بالأشكال الأولى للإنسان وسلوكه بدرجة اهتمامها نفسها بالأشكال المعاصرة ؛ إذ يدرس الأنثروبولوجي كلاً من التطورات البنائية للبشرية ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا، فضلاً عن الاهتمام بالدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات والحضارات الإنسانية المعاصرة .

على الرغم من أن الانثروبولوجيا يدرس موضوعات عديده فى الوقت الراهن ، وتتفرع عنه عدة فروع علميه ، الا أن الملاحظ عموما على بدايه تطور هذا العلم ، أن علماء الانثروبولوجيا الاوائل قد ركزوا على دراسه المجتمعات البدائيه مثل : الهنود والحمر الامريكيين وشعوب جنوب المحيط الهادى ، والمجتمعات الافريقيه الاستوائيه ...الخ

حيث تعد المجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بها بدراسته الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية.

و أن التركيز على مثل هذه المجتمعات يرجع الى العوامل التالية :

١. أهتمام علماء الانثروبولوجيا الاوائل بدراسه اللغات واللهجات والنظم والعادات الغربيه التى تختلف عن لغات ونظم وعادات مجتمعاتهم الاوربيه وصار ذلك الاهتمام تقليداً فى الانثروبولوجيا الى حد كبير ، حتى أوائل القرن العشرين ، حينما أتجهت أهتمامات الانثروبولوجيين نحو دراسه المجتمعات الريفيه والحضريه والصناعيه الحديثه فى العالم الغربى اته ، كذلك اهتمت الانثروبولوجيا حينئذ بدراسه الصراع الثقافى cultural conflict والاتصال الثقافى cultural conact بين الثقافات المختلفه، مثال ذلك دراسه المهاجرين الى الولايات المتحده الامريكيه وما طرأ على ثقافتهم.

٢. يعتمد علم الانثروبولوجيا على المنهج التكاملى integrativemethod أو ما يسمى بالنظره الشموليه وبالتالى تسعى الدراسات الانثروبولوجيا نحو تحديد جميع عناصر الثقافه والنظم الاجتماعيه فى مجتمع ما وهذا لايتحقق غالبا الا بدراسه المجتمعات البدائيه صغيره الحجم مثل قبائل النوير nure والازاندى azanda بالسودان وهنا يصل

الانثروبولـوجي الـى تشـخيص طريقـه حيـاه way of life أبنـاء القبيلـه ، مـن خـلال ملاحظـه مسـاكنهم وملابسـهم والادوات التـــى يســـتخدمونها ونظمهـــم العائليـــه والقرابيـــه والاقتصـــاددیه والدينيـــه وكـــذلك يهـــتم بدراســـه الطقـــوس الدينيـــه والمعتقـــدات الســـحريه والعـــادات والتقاليـــد والفنـــون الســـائده عـــلاوه علـــى اهتمامـــه يتنـــاول النظـــام السياســـى والجماعـــات التـــى تتكـــون منهـــا القبيلـــه والمراكـــز الاجتماعيـــه فيهـــا والادوار الاجتماعيـــه لافرادهـــا وهكـــذ يســـتطيع الانثروبولـــوجي التعـــرف علـــى طريقـــه حيـــاه المجتمـــع الصـــغير الـــذى يدرســـه ، علـــى حـــين لـــو أجـــري هـــذة الدراســـه علـــى المجتمـــع الهنـــدى أو المجتمـــع الفرنســـى أو المجتمـــع المصـــرى لعجـــز عـــن تحديـــد طريقـــه الحيـــاه تلـــك ، ولمـــا توصل الى الصوره الكليه التى يقوده اليها المنهج التكاملى

ومـــع تـــراكم المعرفـــه العلميـــه حـــول المجتمعـــات الكبيـــره فـــي مختلـــف المجـــالات، تمكـــن الانثروبولـــوجين مـــن الاســـتفادة بتلـــك الدراسات

للوصـــول الـــى تحديـــد عناصـــر ثقافـــه المجتمـــع المتقـــدم كبيـــر الحجم وحضارته المعقدة .

٣. لعب العامل الايدولوجى دوره البارز فى تركيز علماء الانثروبولوجيا الاوائل على دراسه المجتمعات البدائيه صغيره الحجم حيث سعى بعضهم الى وضع مقياس يقيس تطور المجتمعات بحيث تحتل المجتمعات الاوربيه قمته (درجه ١٠٠مثلا) ، وتشغل المجتمعات البدائيه نقطه البدايه (الصفر مثلا) ، (الصفر – المائه) يمكن التعرف على المستوى أو الدرجه التى يشغلها هذة المجتمعات على مقياس التطور ولعل الاتجاه التطورى فى الانثروبولوجيا

(ثانيا) الفروع الرئيسية لعلم الأنثروبولوجيا

ومع تراكم المعرفة العلمية ، وتعدد الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية زاد التراث العلمى حول الانسان وتنوعت مجالاته فهناك دراسات تتعلق بثقافة الانسان وتراثه المعرفى وهناك البحوث التى تدور حول الجانب الجسمى للانسان ، كما أن هناك دراسات حول الانسان فى المجتمعات الحديثة فى حين تناولت بحوث اخرى تنمية المجتمع ...الخ [٣]

ولم تعد الأنثروبولوجيا خاصة بدراسة المجتمعات البدائية- أو بدراسة وحدات اجتماعية محددة٠ أو ينحصر اهتمامها بالوصف أو المقارنة وحدها بل تجاوزت ذلك إلى ما هو اشمل وأعم فأصبحت اليوم تشمل المدينة والقرية جنبا إلى جنب.

ومن هنا فإن هناك ثلاثة فروع رئيسية لعلم الإنسان يمكن التعرف عليها من خلال كيفية أو طريقة النظرة إلى الإنسان هل هو كائن اجتماعي هل هو كائن ثقافي هل هو كائن طبيعي نعم هو كل ما سبق الإنسان كائن اجتماعي فهو لايستطيع العيش دون حياة اجتماعية هذه النظرة أدت إلى ظهور ذلك الإنسان الاجتماعي ٠

والإنسان كائن ثقافي فهو حامل للثقافة وناقل لها عبر الاجيال والثقافة كما عرفها تايلور هي ذلك الكل المركب الذي يتكون من العادات والتقاليد والأعراف وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفة عضوا في المجتمع ساعد ذلك علي ظهور علم الإنسان الثقافي والإنسان أخيرا كائن طبيعي مخلوق من ضمن مخلوقات الله هذه النظرة ساعدت علي ظهور علم الإنسان الطبيعي. فعلم الإنسان طبقا لذلك هو الدراسة العلمية للإنسان من الناحية الاجتماعية والثقافية والطبيعية .

(١) الانثروبولوجيا الطبيعية او البيولوجية

الأنثروبولوجيا الحيوية، أو الفيزيقية، أو الطبيعية: وهي فرع قديم ظهر في أواخر القرن الثامن عشر، تحت تأثير الأفكار الداروينية، يهتم بدراسة الإنسان من حيث سماته الجسمية والتشريحية، كشكل الجمجمة وطول القامة، كما يدرس الإنسان في نشأته الأولى، وفي تطوره عن الرئيسيات، وفي كيفية اكتسابه السمات والخصائص السلالية التي تميزه عن غيره من الأجناس والأنواع الحيوانية.

(دراسة الإنسان في مظهره البيولوجي) فهى العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيّرات التي تطرأ عليها بفعل المورّثات. كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كلّ منها. وهذا يعني أنّ

الأنثروبولوجيا العضوية، تتركّز حول دراسة الإنسان / الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية ، ويهتم هذا الفرع بدراسة تطور الانسان وسلوكه ، فهى دراسة الجانب الطبيعى والفيزيقى فى الانسان ، وهذا الفرع من علم الانسان يهتم بتوضيح أوجه التشابه والاختلاف والتباين واتجاهات التغيير فى الافراد والجماعات فى الماضى والحاضر وتأثير عوامل البيئة الكامنه فى الوراثة ، ويهتم الأنثروبولوجيون الفيزيقيون بالقيام بالبحوث والدراسات التى تلقى الضوء على كثير من المفهومات التى تميز مجالات عديدة داخل هذا الفرع الهام من دراسات علم الانسان ومن أهم هذه المجالات

(الأيكولوجيا البشرية – علم الاجنة والنمو – علم العظام وعلم الاسنان– الرئيسيات – الانثروبولوجيا الفيزيقية التطبيقية) . وعلى هذا الاساس تعتبر الأنثروبولوجيا الطبيعية أو البيولوجية أقرب الى العلوم الطبيعية منها الى العلوم الاجتماعية، فهى أكثر ارتباطاً بعلوم التشريح وعلم وظائف الاعضاء. ومن ناحية أخرى يمكن القول ان الانثروبولوجيا الطبيعية إنّما تدرس تلك الخصائص والملامح العامة للبناء الفيزيقي للإنسان، أو ما يسمّى بالبناء العضوي للإنسان.

لذلك تعالج الأنثروبولوجيا الفيزيقية، مثلاً، حجم الجمجمة، وارتفاع القامة، ولون البشرة، ونوع نسيج الشعر، وشكل الأنف، ولون العين،

وفصائل الدم، كما تهتم بدراسة التغيرات العنصرية وخصائص الأجناس، وانتقال السمات الفيزيقية ،وتتبع الموروثات الإنسانية وتصنيف الجماعات البشرية الى سلالات وتوزيع الاجناس على المناطق المختلفة على سطح الارض . [٦]

(٢) الأنثروبولوجيا الاجتماعية

وتعرّف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّها : دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ، ونسق القرابة ، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها . فهى دراسة مجموع البناء الاجتماعى لأى جماعة أو مجتمع ، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات .

تعرف الانثروبولوجيا الاجتماعيه عموما الدراسه التكامليه المقارنه القائمه على ملاحظه السلوك الانسانى فى مضمونه الاجتماعى فهى دراسه تكميليه لانها تتبنى المنهج الكلى الذى يسعى لادراك الاطار الاجتماعى العام الذى توجد فيه الظاهره ، بمعنى انها تدرس النظام القرابى او الاقتصادى فى

مجتمع معين ، ثم نقارن بين هذا النظام ونظيره فى مجتمع اخر ، بقصد الوقوف على مظاهر التشابه وجوانب التباين

وبالتالى الوصول الى المبادى العامه او القوانين التى تحكم هذة الظاهرة وتتم المقارنه – فى هذا الصدد – بين مستويات مختلفه من المجتمعات البسيطه والبدائيه والريفيه والحضريه المعقده كما أن الانثروبولوجيا الاجتماعيه دراسه تعتمد على الملاحظه observation لأن الباحث يستمد مادته من الواقع الذى يدرسه بنفسه ويعايشه ويستخدم اللغه السائده مع ابنائه فى التخاطب فاذا كان يجهلها فانه يتعلمهامصطلح يطلق على التراث المهيمن فى الأنثروبولوجيا البريطانية ، تهتم بدراسة المجتمعات البسيطة الصغيرة التي يمكن فيها فهم دراسة العلاقة بين النظم الاجتماعية جميعاً، لذلك يدرس هذا التيار المجتمعات الأولية صغيرة الحجم ذات النسيج الاجتماعي المحدود والمتكامل، والذي يمتاز ببساطة الفنون والآلية الاقتصادية وقلة التخصص في الوظائف الاجتماعية، وقد ساد هذا الاتجاه في إنجلترا بشكل خاص.

مصطلح يطلق على التراث المهيمن فى الأنثروبولوجيا البريطانية تهتم بدراسة المجتمعات البسيطة وذلك وفقاً لتأكيد العلماء البريطانيين على مفاهيم مثل : المجتمع ، والبناء الاجتماعى والتنظيم الاجتماعى ولا شك أن هذه السيطرة لما هو اجتماعى ترتبط بمفكرى النظرية البنائية الوظيفية أمثال راد كليف براون وفورتس اللذان اعتمدا هما وغيرهما من علماء علماء الانثروبولوجيا .[٨]

ويعد جيمس فريزر استعمل كلمة الانثروبولوجيا الاجتماعية في محاضرة تحت عنوان : مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية، وعرفها بأنها " محاولة الكشف عن تسمية القوانين العامة التي تحكم الظاهرات وتفسر ماضي مجتمعات الإنسان حتى نتمكن بفضلها من أن نتنبأ بمستقبل البشرية استنادا إلى تلك القوانين العامة التي تنظم تاريخ الإنسان"

وكان جيمس فريزر يأخذ بقضية مسلم بها هى أن كل المجتمعات مرت بثلاث مراحل للتطور هى السحر والدين والعلم[١]

[١] انظر حسين عبد الحميد رشوان الأنثروبولوجيا فى المجالين النظرى والتطبيقى ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية.

وتنـاول فريـزر الأعمـال السـحرية للمجتمـع البـدائي وذكـر أن العقليـة قـد مـرت فـى الـثلاث المراحـل السـابقة ، حيـث يسـتند الـدين مـن وجهـة نظـره الـى قـوى روحيـة والـى مـا فـوق الطبعيـة . أمـا السـحر والعلـم فيقومان على قوانين الطبيعة

أمـا رادكليـف بـراون فيقـول " يمكننـا أن نعـرف الانثروبولوجيـا الاجتماعيـة بأنهـا دراسـة طبيعـة المجتمـع الإنسـاني دراسـة منهجيـة منظمـة تعتمـد علـى مقارنـة الأشـكال المختلفـة للمجتمعـات الإنسـانية بـالتركيز علـى الأشـكال الأوليـة للمجتمـع البدائي"

وقـد سـاد هـذا الاتجـاه فـي إنجلتـرا بشـكل خـاص. و يتعامـل هـذا الفـرع مـع الانسـان باعتبـار أنـه عضـو فـى جماعـة إنسـانية ، وأنـه اجتمـاعى بطبعـه لا يسـتطيع أن يعـيش منعـزلا عـن الآخـرين الا فـى حـالات المـرض النفسـى الخطير والمرض العقلى [٩]

(٣)- الأنثروبولوجيا الثقافية

يدرس الانسان باعتباره كائن ثقافى حامل للثقافة ويحافظ عليها كما أنه ناقل لها عبر الأجيال المختلفة هي ذلك العلم الذي يهتمّ بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكياته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة ، كما تدرس الشعوب المعاصرة فالأنثروبولوجيا الثقافية إذن تهدف إلى :

فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها - كما تهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتطور الثقافي ، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات وتفسّر بالتالي المراحل التطوّرية لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن .

فروع الأنثروبولوجيا الثقافية :

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وربّما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنجليزي / إدوارد تايلور / الذي يعدّ من

روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام ١٨٧١ في كتابه الثقافة البدائية (هي ذلك الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد، والفن والأخلاق والقانون، والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع).

ويمكن تميز بين جانبين هامين فى الثقافة هما الجانب المعنوى اللامادى والجانب الآخر وهو الجانب المادى الذى يشمل كل مخترعات الإنسان فى الناحية المادية من الحياة .

وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة ، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر. ومن الممكن أن تكون الدراسة فى الأنثرووبوجيا الثقافية ذات جانبين :

- أولهما: هو الدراسة المتزامنة أو الآنية أى دراسة الثقافة فى نقطة معينة من تاريخها .

- **وثـانى الجـانبين: هـو الدراسـة التتبعيـة أو التاريخيـة بمعنـى دراسـة الثقافـة عبـر التـاريخ وهـذا مـا يمثـل الاتجـاه التطورى فى دراسة الثقافة**

وتعـد الأنثروبولوجيـا الثقافيـة التـراث المسـيطر فـى الأنثروبولوجيـا فـى الولايـات المتحـدة ، حيـث تشـمل كـلا مـن" علـم آثـار وعلـم اللغـة الأنثروبولـوجى ، بالاضـافة الـى الدراسـة المقارنـة للثقافـات والمجتمعات الإنسانية [١] [١]

١-الاثنولوجيا والاثنوجرافيا :

<u>الاثنوجرافيـا</u> : وتعنـي الدراسـة الوصـفية لأسـلوب الحيـاة ومجموعـة التقاليـد والعـادات والقـيم والأدوات والفنـون والمـأثورات الشعبية لدى جماعة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.

<u>الإثنولوجيـا</u> : وتهـتم بالدراسـة التحليليـة والمقارنـة للمـادة الإثنوجرافيـة، بهـدف الوصـول إلـى تصـورات نظريـة وتعميمـات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية.

حيـث تعنـى الأثنولوجيـا بأنهـا الدراسـة التحليليـة والمقارنـة للسـلالات والشـعوب، فـالأثنولوجى يـدرس ثقافـة المجتمـع ، حيـث يطلـق

اصطلاح اثنولوجيا على الدراسات التى تجمع بين وصف الثقافة والمقارنة بينها وبين غيرها من الثقافات فهى(التحليل المقارن والتاريخى للثقافات). وهى علم يختص بدراسة ثقافة المجتمعات الموجودة وقت الدراسة وكذلك الحضارات التى انقرضت بشرط أن تتوافر عنها سجلات مكتوبة وشواهد حية تلقى الضوء على هذه الحضارات ، ولذلك يستهدف الاثنولوجى الوصول الى قوانين عامة للعادات الانسانية والتغير الثقافى وآثار الاتصال الثقافى بين الحضارات والثقافات المختلفة

*اما اصطلاح اثنوجرافيا : تقتصر الاثنوجرافيا في دراساتها على الناحية الوصفية للحضارات دون تقديم تفسير أو تحليل لها أي دون التعليق عليها وتتصف الإثنوجرافيا التى تمثل فرعاً من البحث الأنثروبولوجى بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات. حيث لا يتم البحث الاثنوجرافي إلا على المجتمعات المحلية صغيرة الحجم غالبا.

وتستفيد الاثنولوجيا عملياً من البيانات التي تزودها بها الاثنوجرافيا، ليقوم الباحث الاثنولوجي بعد ذلك بتصنيف الحضارات في مجموعات أو أشكال، حيث يهدف الاثنولوجي إلى

الوصـــول إلـــى قـــوانين عامـــة للعـــادات الإنســـانية ولظـــاهرة التغيـــر الحضاري، وآثار الاتصّال بين الحضارات المختلفة [1].

واخيـــرا فـــإن هنـــاك فرقـــاً واضـــحاً بـــين الاثنوجرافيـــا والاثنولوجيـــا ، فالإثنوجرافيـــا هـــى الدراســـة التســـجيلية للشـــعوب دون تحليـــل لهـــذه الثقافـــات أو عقـــد المقارنـــة بينهـــا وبـــين الشـــعوب الأخـــرى ، بينمـــا الأثنولوجيـــا تهـــدف الـــى عقـــد المقارنـــة بـــين الثقافـــات حتـــى نســـتطيع التوصـــل إلـــى مـــا يســـمى بالعموميـــات أو إلـــى قـــوانين عامـــة تحكـــم السلوك الإنسانى . [1] [٤]

٢ – علم الآثار

امـــا عـــن علـــم الآثـــار Archaeology فهـــذا العلـــم يهـــتم بكيفيـــة نمـــو الثقافـات وكيفيـة تغيرهـا عبـر الـزمن وتتكـون مـن مقطعين Archaeo يعنـى قـديم بائـد منقـرض Logy بمعنـى علـم ولـذا فهـو يعنـى علـم دراســة الماديــات القديمــة يهــتم علــم الآثــار بدراســة وتحديــد وتتــابع التغيــر الحضـارى والثقـافى علـى مـر العصـور ، يـدرس الفتـرات التاريخيـة فـي حيـاة المجتمعـات والثقافـات بالاعتمـاد علـى وثـائق قديمـة والشـواهد مـن

المواقع الأثرية كالمدن القديمة والبنايات، وإعادة رسم صورة ثقافات ما قبل التاريخ فعالم الآثار يعتمد في دراسته على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها ، فقد يعثر عالم الآثار على بعض الأدوات والأوانى المدفونة تحت الأرض ، وقد يعثر على بعض الرسوم والنقوش الحجرية والفخار والبيوت وبقايا المعابد وبالتالى يستطيع وصف جانب من الثقافة القديمة . ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة. ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، أنّ الهدف النهائي يتمثّل في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات.

٣ - **علم اللغويات** :

اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الأنسان عن ذاته، وذلك يعبر الأنسان عن سلوكه الأجتماعي باللغة ويرمز بها لعناصر حضارته.

علم اللغويات : يبحث في تحليل اللغات وتصنيفها تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت

التاريخيـــة فحســـب، كاللاتينيـــة أو اليونانيـــة القديمـــة، واللغـــات الحيّـــة المســـتخدمة كالعربيـــة والفرنســـية والإنجليزيـــة. . ويهـــتمّ دارســـوا اللغـــات بـالرموز اللغويـة المسـتعملة، إلـى جانـب العلاقـة القائمـة بـين لغـة شـعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

إنّ اللغـة مـن الصـفات التـي يتميّـز بهـا الكـائن الإنسـاني عـن غيـره مـن الكائنـات الحيّـة الأخـرى، فهـي طريقـة التخاطـب والتفـاهم بـين الأفـراد والشـعوب، بواسـطة رمـوز صـوتية وأشـكال كلاميـة متّفـق عليهـا، ويمكـن تعلّمهـا .. عـلاوة علـى أنّهـا وسـيلة لنقـل التـراث الثقـافي / الحضـاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث .

كمـا يهـتم الأنثرويولـوجى بدراسـة اللهجـات المحليـة وعلاقتهـا باللغـة الأمومـدى تأثيرهـا علـى هـذه اللغـة، ومصـادر هـذه اللهجـات، وهـل مـا إذا كانـت ترجـع إلـى لغـات انقرضـت ، كمـا هـو الحـال فـى بعـض لهجاتنـا المحليـة التـى تحتـوى علـى بعـض الكلمـات مـن اللغـة المصـرية القديمـة فيحـاول الأنثروبولـوجى اللغـوى إلقـاء الضـوء عليهـا كمـا يـدرس تـأثير الحـروب فـى إنتشـار بعـض اللغـات وأثـر التبـادل الاقتصـادى والثقـافى علـى اللغـة والـى غيـر ذلـك مـن الموضـوعات التـى تهـم المتخصـص فـى مجـال علم الانسان اللغوى

يحتلّ علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي إليها فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى .. يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان كذلك دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلام الفروق الاجتماعية .

يستطيع علم اللغة أن يقدّم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة

يعطي / ليفي ستروس / أهميّة بالغة لِلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية .

الفصل الثاني

الفروع الحديثة للأنثروبولوجيا

مقدمة :

تعددت الدراسات الأنثروبولوجية في الوقت الراهن وتراكمت البحوث التي أجريت على موضوعات حديثة وفي مجتمعات كبيرة الحجم نسبيا كالمجتمعات الريفية والحضرية والصناعية وقد أدى تجمع الدراسات الأنثروبولوجية فى شكل مجموعات متشابهه بحيث شكلت كل مجموعة فرعا متميزا من فروع العلم ، على سبيل المثال فان الدراسات الانثروبولوجية حول الممارسات والمعتقدات والدين والعادات واللغة قد كونت علم الانثروبولوجيا الثقافية ، وهناك الدراسات التى أجريت على جسم الانسان وتكوينه وملامحه وخصائصة الفيزيقية قد اسهمت فى تأسيس علم الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية ومن جانب آخر فإن مجموعة الدراسات التى قام بها علماء الأنثروبولوجيا حول النظم والعلاقات الاجتماعية قد شكلت أسس علم الانثروبولوجيا الاجتماعية . [١] [٧]

والملاحظ أن هذه الفروع ليست حديثة لانها نالت بعض الاهتمام فى دراسات الرواد وكذلك فى الفروع التقليدية(الطبيعية والاجتماعية والثقافية) ولكنها حديثة بمعنى تبلورها بشكل واضح بحيث جذبت اليها الباحثين فتتراكم بحوثهم، ومن أهم هذه الفروع :

- الانثروبولوجيا التطبيقية :

ظهرت الانثروبولوجياالتطبيقيه applied anthropologe في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتى تهدف الى الاستعانه بالدراسات الانثروبولوجيه النظريه فى ضبط التغير الاجتماعى وتوجيهه فى المجتمعات التقليديه وتجدر الاشاره الى وجود فروق بين الانثروبولوجيا التطبيقيه وفروع الانثروبولوجيا الاخرى أهمها :

و الانثروبولوجياالتطبيقيه applied هى التطبيق العملى للنظريات والنتائج الانثروبولوجيا الثقافيه والاجتماعيه فى الادراه والتعليم والخدمه العسكريه والخدمه فى والتخطيط والتنظيم الصناعى والتجارى .

ومن أشهر تجارب الأنثروبولوجيا التطبيقية مشروع فيكوس الذى نفذته جامعة كورنيل الأمريكية فى بيرو حيث لعب فريق البحث الأنثروبولوجى فى ضيعة زراعية كبرى دورا تحفيزياً فى حملة توعية النساء في بيرو على غلي الماء قبل شربه أو ما سميت حينها بظاهرة طهي الماء عند النساء في بيرو وهو ما أظهر كيف ولماذا اختلفت الاستجابة بين مجاميع النساء لتلك الحملة باختلاف المركز الاجتماعي للمرأة . إن

الانثروبولوجي التطبيقي لم يعد الشخص الذي يقدم مخططا أو رسما لبرنامج إصلاحي أو تنموي فقط، بل هو الشخص الذي يتوجب عليه أن يقدم تقريرا مفصلا عن معوقات العمل والمسارات الخطرة المحتمل أن تعترض سبل التنفيذ وتقف حائلا دون تحقيق أهداف البرنامج أو وحدة الجماعة، فهو الأقدر على حساب ردود الفعل الاجتماعية التي يحتمل أن يحدثها التغيير، وهو الأقدر على تخفيف مظاهر الصراع بما يخدم وحدة الجماعة. وهو الأقدر على رسم سيناريوهات التغير والتطوير.

ولم تقتصر الجهود الانثروبولوجيه التطبيقية على دراسة المجتمعات المحلية أو السكان المحليين في المناطق الجغرافية، بل إن دراسات انثروبولوجيه تطبيقية أخرى تناولت العلاقات الصناعية وتنظيم العمل الإداري في المؤسسات كالمستشفيات والمعامل والمتاجر والسجون واهتم الأنثروبولوجيون التطبيقيون فى مناطق أخرى بمشكلات التفسير الثقافى وإساءة التفسير .

- **انثروبولوجيا التنميه**

إرتبطت الانثروبولوجيا منذ القرن التاسع عشر بتنميه المجتمعات الانسانيه التى تم دراستها ويرجع ذلك الى أن دراسه ما يعرف فى

تـــاريخ الانثروبولوجيـــا المجتمعـــات البدائيـــه والتـــى تفضـــل تســـميتها بالمجتمعـات البسـيطه أو التقليديـه ، ومـع العقـود الأولـى مـن القـرن الماضـى بـدأت تظهـر الحاجـه الـى التعـرف علـى مشـاكل المجتمـع الحاليـه وقـد لجـأت كثيـر مـن الحكومـات الـى أخـذ الـرأى والاسـتعانه بعلمـــاء الانثروبولوجيـــا لانهـــم اكثـــر قـــدره علـــى تفهـــم مشـــكلات المجتمع ووضع ا لحلول لها

وبـــدأ التفكيـــر بطريقـــه علميـــه لوضـــع السياســـات العلميـــه وإتخـــاذ القـــرارات الاداريـــه فـــى كافـــه مشـــكلات الحيـــاه ، وعنـــدما ظهـــرت الانثروبولوجياالتطبيقيـه applied anthropologe كأحـد فـروع علـم الانثروبولوجيـا والتـى تهـدف الـى الاسـتعانه بالدراسـات الانثروبولوجيـه النظريـه فـى ضـبط التغيـر الاجتمـاعى وتوجيهـه فـى المجتمعـــات التقليديـــه وتجـــدر الاشـــاره الـــى وجـــود فـــروق بـــين الانثروبولوجيا التطبيقيه وفروع الانثروبولوجيا الاخرى أهمها :

وقد حددت الانثروبولوجيا منذ ظهروها مجالات رئيسيه من أهمها مجال الاداره ومجال التنميه ، والمجال الطبى ، ويهمنا التركيز على المجال الهام للانثروبولوجيا التطبيقيه وهو مجال التنميه حيث أن

تنميه المجتمعات عمليه يقصد بها تهيئه عوامل التقدم الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع عن طريق مساهمه افراده وجماعاته واستغلال إمكانياته وهذة العمليه ليست عمليه حديثه فى نوعها فمنذ زمن بعيد يتعاون أبناء القريه الواحده فى بناء السدود لمواجهه الفيضانات أو حفر الابار أو الترع والمصارف أو بناء وإنشاء دور العباده والمدارس ، والامثله على ذلك كثيره ومن بلدان شتى فى الهند وباكستانومصر فالاهالى فى أغلب بقاع العالم يساهمون فى تحديد مشاكلهم واحتياجاتهم ويعملون متعاونين على تنميه مجتمعاتهم .

وقد شاركت فى دراسات كثيره للتنميه نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تنميه القرى المصريه قريه ابى صير بالاشتراك مع وزاره الشئون الاجتماعيه ، وكذلك دراسه لتنميه النوبه بعد إقامه مشروع السد العالى والمشكلات التى تواجه التنميه كما قمت بدراسه للتنميه فى المجتمعات الحدوديه فى مجتمعات (حلاييب – ابى رماد –شلاتين) ثم تنميه مجتمعات شمال سيناء وجنوبها يمكن ان نجمل تطبيقات الانثروبولوجيا فى هذة الفتره فى ثلاثه مجالات هى :-

- مشروعات تنميه المجتمعات المحليه
- حملات الصحه العامه
- مشروعات التوطين

١. أن تنمية المجتمعات عملية يقصد بها : تهيئة عوامل التقدم الإجتماعى والإقتصادى للمجتمع عن طريق مساهمة أفراده وجماعاته واستغلال إمكانياته وهذه العملية ليست عملية حديثة فى نوعها فمنذ زمن بعيد يتعاون أفراد المجتمعات الإنسانية فى مواجهة احتياجات مجتمعاتهم . حيث ساهم الأنثروبولوجيون إسهاماً كبيراً في فهم مشكلات تقبل أو رفض التغيير، كما شاركوا في عمليات التخطيط والتنفيذ والتقييم.

١. مما لا شك فيه أن التنمية عملية اجتماعية تراكمية تكاملية تهدف إلى تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية للمجتمعات تتطلب مزيدا من الاستفادة والاستغلال الواسع والمركز للموارد الطبيعية.

الانثروبولوجيا الطبية

الأنثروبولوجيا الطبية أحد الفروع الحديثة للانثروبولوجيا التي تستمد الاجتماعية والثقافية والبيولوجية إلى فهم أفضل لهذه العوامل التي تؤثر على الصحة، والخبرة والتوزيع من المرض ، والوقاية والعلاج من المرض والشفاء العمليات ، والعلاقات الاجتماعية للإدارة العلاج ، والأهمية الثقافية والاستفادة من النظم الطبية التعددي.

كما وتعد الصحة والمرض مقياسيا يحدد مدى كفاءة المجتمعات الإنسانية بما يتظمه من خصائص بيولوجية وثقافية واجتماعية وبيئية ، واذا كان الطب الحديث يهتم بالعمليات البايلوجية بالدرجة الأولى ، الا انه بدا يهتم في الوقت الحاضر بتاثير الثقافة على الصحة والمرض وهنالك الكثير من الشواهد في التاريخ الطبي على تاثير الجوانب الاجتماعية والثقافية على الحالة الصحية للإنسان وفقا لاختلاف ثقافات المجتمعات المختلفة ان الانثروبولوجيا الطبية علم يبحث في العلاقة بين الثقافة (موضوعة الانثروبولوجيا) من جهة ، والصحة والمرض (باعتبارهما موضوعة طبية) من جهة أخرى

لذلك فهي تعني الدراسة الكلية المقارنة للثقافة ، ومدى تاثيرها على الحالة الصحية لافراد المجتمع ، ومدى تاثيرها على المرض والرعاية الصحية ، وقد تزايد الاهامام بهذا العلم نظرا لتزايد الوعي بدور الثقافة في القضايا الصحية مثل تطور المرض وتوزيعة الجغرافي والوسائل والأساليب التي تعتمد عليها المجتمعات في مواجهته ، والطرق الافظل لتحسين الطب الحديث .

وتزداد أهمية الثقافة في مجال الصحة لانها تتحكم الى حد كبير في نمط انتشار المرض وطريقة الناس في تفسيرة ومعالجته والتعامل معه ، فالثقافة كما هي قد تسبب له الإصابة بالمرض هي يمكن ان

تعالجه وتشفيه منه ، لذلك نرى ان تعرف المرض يختلف من مجتمع لاخر كما تختلف الاستجابة له من مجتمع لاخر .

ومن المعروف ان هنالك دراسات في موضوعة الانثروبولوجيا الطبية مثل الدراسة التي قام بها ايفانز بريتشارد ومارجريت ميد وريفرز وغيرهم ، الا ان الانثروبولوجيا الطبية شهدت ازدهارا ملحوظا بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة حينما أسهمت في دراسة المشكلات الطبية .

إن ميدان الأنثروبولوجيا الطبى– أحد الفروع الفائقة التطور فى ميدان الأنثروبولوجيا – ظهر هذا الفرع في بداية القرن العشرين، وقد تزايد الاهتمام به نظراً لتزايد الوعي بجذور الثقافة في القضايا الصحية، مثل تطور المرض، وتوزيعه الجغرافي والوسائل والأساليب التي تعتمد عليها المجتمعات في مواجهته، والطرق المثلى لتحسين الطب الحديث وتطويره في المجتمعات التقليدية. وقد أوضح لويس مورجان، أهمية الثقافة في مجال الصحة والرعاية الصحية؛ فالثقافة تتحكم إلى حد كبير في الموضوعات الآتية:

أ. نمط انتشار المرض بين الناس.

ب. طريقة الناس في تفسير المرض ومعالجته.

ج. السلوك الذي يستجيب به الناس لانتشار الطب الحديث.

تؤثر الثقافة في أسلوب الرعاية الصحية، فقد تفشل برامج المساعدات الطبية بسبب الاختلافات في ثقافة مقدمي المساعدة عمن يتلقونها، ما يوجد العقبات التي تحول دون الاتصال الفعّال والتعليم والعلاج .

ويرتبط هذا الاتجاه نحو الاهتمام بهذا الميدان إلى تزايد مشروعية الاهتمام بأساليب الطب البديل فى العلاج واستراتيجيات الرعاية الصحية على مستوى المجتمع المحلى . وتوجد فى كل مجتمع مجموعة من القواعد لترجمة الإشارات إلى أعراض ، ولتعريف المرض ، وأنماط العلاج .

٨ ١

الأنثروبولوجيا الاقتصادية Economical Anthropology

تهتم الأنثروبولوجيا الاقتصادية بدراسة الاقتصاديات القروية أو القبلية الصغيرة. وقد تزامن ظهور الأنثروبولوجيا الاقتصادية . علماً فرعياً . مع ظهور أساليب العمل الميداني الحديثة، التي أجبرت الأنثروبولوجيين على مقارنة النظريات

الاقتصادية والأنثروبولوجية بواقع الإنتاج والتوزيع، والتبادل في الاقتصاديات القبلية أو القروية الصغيرة التي درسوها.

ومن ثم ظهر هذا الفرع من علوم الأنثروبولوجيا محصلة لاهتمام علماء الأنثروبولوجيا بالنظم الاقتصادية في المجتمعات التقليدية، ومحاولة إيجاد صيغة ملائمة لتفسير الظواهر الاقتصادية في هذه المجتمعات. ويرجع الفضل في تحديد مسمى هذا الفرع إلى المؤرخ الاقتصادي جراس، في مقاله الذي عُدَّ نواة لذلك، ونُشر بعنوان: "الأنثروبولوجيا والاقتصاد". وفيه حدد نطاق اهتمام هذا الفرع بأنه الجمع بين الدراسات الأنثروبولوجية والاقتصادية عند الشعوب التقليدية. وبعد ميلاد هذا الفرع، يوضح ريموند فيرث أنه منذ حوالي العقد الرابع من القرن العشرين، بدأ الاهتمام يتزايد بهذا الفرع من الأنثروبولوجيا العامة.

٥. الأنثروبولوجيا السياسية Political Anthropology

وهو ميدان مرتبط بقوة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية. وهو عمل يتعلق بالوصف والتحليل للنظم السياسية من حيث بنيانه وأشكاله وإشكالاته، وهو من أحدث العلوم، وأخذ بتوسع بسرعة، ويبحث في الأشكال السياسية بمختلف خصائصها. سواء كانت بدائية بسيطة أو معقدة

تهتم الأنثروبولوجيا السياسية بوصف الأنظمة السياسية وتحليلها على مستوى البناء الاجتناعي، والعمليات، والتفاعل، وبخاصة في المجتمعات القبلية التقليدية.

الفصل الثالث

أهم مفاهيم علم الأنثروبولوجيا العامة

مفاهيم وموضوعات في علم الأنثروبولوجيا

إن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا بشكل عام هو الإنسان بكل نواحيه فجسم الإنسان في ذاته ونشأته وتطوره هو موضوع الأنثروبولويا الطبيعية بينما علاقات الإنسان وسلوكه ومختلف العلاقات التي تنتج عن اتصاله بالآخرين هي موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

إن الأنثروبولوجيين الأوائل عمدوا إلى دراسة المجتمعات البدائية البسيطة في تركيبتها وثقافتها فكان المجتمع البسيط والذي وصف بالبدائي هو الموضوع الأساسي الذي وجهت إليه أنظار الأنثروبولوجين قبل أن يتجهوا لدراسة المجتمعات صغيرة الحجم. أن رادكليف براون مثلا حدد مجال دراسة الأنثروبولوجيا بالمجتمعات البدائية لكنه عاد ليؤكد ويجعل من جميع أنماط المجتمع الإنساني مجالا للدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وهو نفس الموقف الذي أيده إيفانز بريتشارد الذي رأى بأن الأنثروبولوجيا هي " فرع من الدراسات الاجتماعية يتخذ من المجتمعات الانسانية جميعا وبأنماطها المختلفة موضوعا له ، وإن كان يركز على دراسة النمط التقليدي منها

والواضح أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بشكل خاص يتراوح بين الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم والأنساق الاجتماعية التي تكونه ووظيفة هذه النظم ، إضافة إلى دراسة الثقافة بمكوناتها المختلفة .

- مفهوم البناء الاجتماعى

وهو من الموضوعات الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية ، وتولى الأنثروبولوجيا الاجتماعية البناء الاجتماعي اهتمام ملحوظ فهى تحلل هذا البناء فى المجتمعات الانسانية .

وتدرس الأنثروبولوجيا الاجتماعية كل المجتمعات الانسانية البسيطة والمركبة وخاصة المجتمعات البدائية والبسيطة التى يظهر فيها تكامل البناء الاجتماعي ، حيث يعد البناء الاجتماعي ، والعلاقات الاجتماعية هما الموضوع الاساسي الذى تدرسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى المجتمع .

وتعددت تعريفات العلماء للبناء الاجتماعي :

- نسيج يتكون من العلاقات التى تربط بين أعضاء مجتمع ما .

- مجموعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعة بعضهم ببعض ، وبينهم وبين الجماعات الأخرى فى المجتمع وتؤلف هذه العلاقات النظم الاجتماعية التى تؤلف الأنساق الاجتماعية ، وتتضمن القيم والمعايير والمثل والاتجاهات التى تحدد وتوجه سلوك الأفراد بعضهم تجاه بعض وتجاه جماعاتهم .
- البناء الاجتماعي عند إيفانز بريتشارد: يعني بريتشارد بالبناء الاجتماعي تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب ، أي أنه يقصد استمرار الجماعات و استمرار أنماط العلاقات التي تربطها بغض النظر عن الأفراد الذين يؤلفونها .

والجدير بالذكر أن البناء الاجتماعى الكلى العام – لأى مجتمع – يتضمن عدداً من الأبنيه او الأنساق الفرعيه sub – systems أو النسق الاجتماعى economic system أو النسق السياسى political system هذا البناء الكلى ويتخذ السلوك والتصرفات الاجتماعيه داخل نطاق هذا النسق شكل النظم الاجتماعيه كالزواج والعائله .....

وحينما نتكلم عن وظائف هذه النظم ، فأننا نقصد الدور الذى تؤديه فى صيانه البناء والمحافظه عليه

أما راد كليف براون Radcliff –brawn فقد ناقش مصطلح البناء الاجتماعى ، وحاول تعريفه من خلال النظر الى هذا البناء باعتبار أنه يتضمن ثلاث مجموعات من الظوارهر الاجتماعيه وهى :

وهى ما يعرف بالاشكال المورفولوجيه للمجتمع الانسانى وهى أشكال :

١- الجماعات الاجتماعيه المستمره فى الوجود لفتره كافيه من الزمن يتجمع الانسان فيها ويتكتل فى وحدات اجتماعيه تختلف فى الحجم والوظيفه

٢- كل العلاقات الاجتماعيه بين فرد وفرد من اعضاء مجتمع معين فمثلا يتكون نظام القرابه – لاى مجتمع – من عدد من العلاقات الثنائيه بين الاب والابن وبين الام والابنه وبين الزوج والزوجه وبين الابن والخال.....الخ

ويعد نظام القرابه أهم النظم الاجتماعيه فى المجتمعات البسيطه وبالتالى يقوم البناء الاجتماعى كله على أساس شبكه العلاقات القرابيه التى تحدد كل العلاقات الاجتماعيه فى

المجتمع وبالتالى يؤكد براون على أن النظم الاجتماعيه هى المجموعه الثانيه من الظواهر الاجتماعيه المكونه للبناء الاجتماعى

ظواهر التباين والتنوع بين الافراد والجماعات فى المجتمع وتحدد هذة الظواهر الادوار الاجتماعيه social roles التى يقوم بها هؤلاء الافراد والجماعات وكل مجموعه من الأدوار تنتمى الى مراكز أجتماعيه social statuses يحددها المجتمع ويشغلها الافراد والجماعات حسب شروط محدده كالنوع مثلا والسن (مراكز للاطفال واخرى للشباب وثالثه للمسنين

أهم خصائص البناء الاجتماعى [1]

١- يتكون البناء الاجتماعى من انماط العلاقات الاجتماعيه ولذلك حينما نحاول دراسه البناء الاجتماعى لمجتمع ما فلابد من ملاحظه العلاقات الاجتماعيه فى صورتها الواقعيه المحسوسه والتى ترتبط بحدود وبمكان معين وبزمان معين ايضا وتوجد هذه العلاقات بين شخصين على الاقل – وبين جماعه أشخاص فى الغالب – حينما .

[1] على المكاوى : الانثروبولوجيا الاجتماعيه ودراسه التغير والبناء الاجتماعى .

يوجد بعض التوافق بين مصالح الاشخاص أو يوجد تعارض بشانها ، أوعندما توجد محاولات للحد من الصراع الناجم عن تعارض المصالح . وقد حدد رادكليف براون المقصود من (المصلحه) هنا بأنها (كل سلوك هادف) وفى هذه الحاله ينبغى على الانثربولوجى الاجتماعى أن يلاحظ عدداً ضخماً من العلاقات الاجتماعيه المجسده فى مجتمع صغير الحجم ومن خلال الاقامه الدائمه مده طويله فى مجتمع الدراسه ، ومعرفه اللغه المحليه التى يتفاهم بها أبناؤه ، يستطيع تسجيل هذة العلاقات العديده، وتنظيمها وتصنيفها فى مجموعات أو فئات متشابهه فى الموضوع والوظيفه والشكل .

ومثال ذلك أداب التحيه وأستقبال الاصدقاء لبعضهم بعد طول غياب حيث يتضح الموضوع فى عنصر التلاقى بعد الانقطاع حينا من الدهر وتتمثل الوظيفه فى أظهار وتقويه درجه التماسك الاجتماعى بين أعضاء المجتمع على حين يتجسد الشكل فى اسلوب التعبير عن فرحه اللقاء والتقبيل والاحضان والعناق وترديد عبارات التحيه بشكل متكرر وسريع ... الخ وفى هذة الحالات يقوم الانثروبولوجي الاجتماعى باطلاق أصطلاح أنماط على تلك المجموعات المتشابهه من العلاقات الاجتماعيه القائمه تمييزاً لها عن صورها الواقعيه أذن من تلك

الانمـــاط يتكـــون البنـــاء الاجتمـــاعى ، ويتصـــدر الانثروبولـــوجى للكشـــف عنها .

٢- البناء الاجتماعى هو كل نسيج متشابك الاجزاء: يتكون البناء الاجتماعى – كما اشرنا من أنماط العلاقات الاجتماعيه ، التى توجد على ثلاثه أقسام وهى التجمعات أو الجماعات التى يتكون منها المجتمع ، والنظم الاجتماعيه التى تمثل الجهاز الادارى الذى يحافظ على أستمراريه البناء ، والمراكز الاجتماعيه التى يشغلها الاشخاص والجماعات ،والادوار الاجتماعيه التى يقومون بها من خلال المركز الاجتماعيه والواقع أن الانثروبولوجى الاجتماعي يضطلع بدراسه هذة الاقسام وما تتضمنه من موضوعات فرعيه باستخدام المنهج الكلى Holistic Method الذى يغطى كل أجزاء البناءالاجتماعى ولعل هذا المنهج الكلى هو الذى يميز دراسات الانثروبولوجيا ، كما أنه يتسق مع طبيعه الواقع الاجتماعى الذى تتفاعل اجزاؤه وعناصره وتنصهر فى بوتقه هذا الكل ويمثل الكشف عن العلاقات المباشره بين أجزاء البناء الاجتماعى ، اصعب المهام التى يضطلع بها الانثروبولوجى الاجتماعى

ومـــن الامثلـــه علـــى ذلـــك نقـــول أن النظـــام الـــدينى جـــزء مـــن البنـــاء الاجتمـــاعى وبالتـــالى تـــزداد العلاقـــات قـــوه بـــين الـــدين وبـــين عناصـــر البنـــاء

الاجتماعى أذ يحدد الدين نظم الزواج والطلاق والميراث وتربيه الابناء وعلاقه الزوج بالزوجه كذلك تستمد القيم والفضائل التى تحكم سلوكنا وتصرفاتنا من الدين ويؤثر الدين فى حياتنا الاقتصاديه وفى المأكل (الحلال والحرام) والمعاملات الماليه ....الخ

الانثروبولوجي الاجتماعى ينظر للبناء باعتباره شبكه من العلاقات وعليه ضروره الكشف عن التاثير المتبادل بين عناصر هذة الشبكه (البناء)

٣- البناء الاجتماعى مستقر ولكنه جامد : لايمكن لأى بناء أجتماعى أن يقوم بوظيفته فى الحفاظ على تماسك المجتمع ، الا اذا ظل المجتمع قائما لفتره طويله من الزمن تكفى لظهور هذا البناء أولا وتضمن أستمراره ثانيا ولذلك يستمر المجتمع دهوراً،على عكس ما يحدث للافراد الذين يكونون وقد يتعطل نظام من نظم البناء الاجتماعى أثناء الحروب أو الكوارث مثلا ، ولكن سرعان ما يستعيد هذا البناء استقراره وبقاؤه والواقع أن الاستقرار والبقاء لايعنيان وضعاً جامداً ، وانما يعنيان الحركه والديناميه مثل استمرار البناء العضوى لجسم الانسان حيث تتجدد خلاياه باستمرار ويحدث

نفس التجديد للبناء الاجتماعى أيضا حينما يدخله أعضاء جدد (بالولاده أو الهجره) أو حينما يغادره أخرون ايضا (بالوفاه و الهجره)

ومن ناحيه اخرى يتعرض البناء الاجتماعى للتغير ، فتتغير العلاقات الاجتماعيه ويتغير المجتمع بحكم العوامل الاجتماعيه المختلفه كالتعليم والفروق الجليله والفروق الريفيه الحضريه والطبقه الاجتماعيه والانفتاح على العالم الخارجى واساليب الاتصال ...الخ.

٢- المركز الاجتماعي social status

يقصد بالمركز : هو الوضع أو المكانة التي يحتلها الفرد في النسق بالنسبة لغيرة من أفراد المجتمع الذى يلتزم بأدائة والحقوق التى يكتسبها ، كما يتضمن المنزلة الاجتماعية والتى يقصد بها مركز ذو مكانة ذو درجة محددة فى سلم متعدد الدرجات بعضها مرتفع والأخر منخفض وقد تكون هذه المنزلة او الرتبة مرتفعة او منخفضة .

لا يوجد مجتمع إنساني يتساوى فيه جميع أعضائه فى المركز ، ولذلك تشتمل كل المجتمعات على نظام يحدد أشكال وخصائص التباين بين افراده ويعد هذا النظام من أهم عناصر البناء الاجتماعي لأى مجتمع .

أن كل مركز يحدده المجتمع يصاحبة مجموعة من أنماط السلوك المتعارف عليها ، وللفرد الواحد داخل البناء الاجتماعي عدة مراكز وبالتالى يقوم بعدة أدوار .

إن المركز الذى يشغلة الفرد ويحدد له الدور ، ويكون هذا المركز موروثا او معتمدا على أسس معينة مثل الثروة أو التعليم وغيرهما .

وقد ميز (لينتون) بين نوعين من المراكز :

أ. مراكز مفروضة : والتى يرثها الفرد من والدية أو التى تولد معه او قد تفرضها النظم الاجتماعية فهى مراكز غير خاضعة لإرادة الإنسان فى الحصول عليها . ومنها المراكز المحددة بعمر الفرد من طفولة وشباب وشيخوخة او تلك المراكز المحددة بالنوع (ذكر – أنثى) ..ومنها أيضا المراكز المعتمده على التوارث مناصب معينة والمترتبة على الانتماء الى طبقة معينة .

ب. مراكز مكتسبة : وهى التى يحصل عليها الإنسان بمجهوداته ولكى يصل إليها عليه أن يقوم بأدوار ، على عكس المراكز المفروضه التى قد تفرض على الانسان أدوارا قد لا يستطيع القيام بها. ومن أمثلة المراكز المكتسبة المراكز المترتبة على تعلم واكتساب مهارة

معينة . أمثلة على المراكز (مراكز أساسها النوع – مراكز أساسها العمر – مراكز أساسها الثروة – مراكز أساسها المهارات)

اذاً فإن مركز الشخص بالنسبة هو مكانته بالنسبة غيره ممن له معهم علاقات اجتماعية . والالفاظ التى تتم عن المكانة أو المركز تحمل دائما معنى العلاقة مع شخص آخر مثل الابن والناظر والزوج والبائع ... وقد يشغل الإنسان عدة مكانات ، وقد يكون له مكانة كلية وهى اما مرتفعة أو منخفضة نسبيا بالنسبة لغيرة من أعضاء المجتمع .

ويهتم الباحث الأنثروبولوجى بالطريقة التى يحدد بها المجتمع أدوار الأفراد وكذلك نتيجة عدم أدائها على الوجه الأكمل .

٣.(الدور) : وهو مجموعة من أنماط السلوك المتعارف عليها والمصاحبة لمركز محدد . وبما أن الفرد له عدة مراكز فى المجتمع فإنه يقوم أيضا بعدة أدوار.

اننا نبذل ما فى وسعنا لنقوم بدورنا المتواضع وعندما تتكون لدى الناس أفكار جديدة عن أداء أدوارهم يتحقق التغير الاجتماعى والقواعد التى تحدد الأدوار تسمى توقعات الدور ، أما الضبط الاجتماعى الذى

يهدف الى حمل الناس على القيام بأدوارهم وفقاً لهذه التوقعات ،وهذه المكانات والأدوار لا توجد الإ فى إطار جماعة اجتماعية معينة .

٥ – الأنساق الاجتماعية:

يتكون النسق من مكانات وأدوار وتجمعات ومجموعة من الأشخاص، تربط بينهم علاقات، وهذه الأنساق التي يتألف منها البناء الاجتماعي ينجز عندها الفرد أهدافه ويجد حلولاً للمشكلات، ويشير ايضا الى الهيكل الرسمى للدور والمركز الممكن تشكيلهم فى الجماعات الصغيرة المستقرة ومن الممكن للفرد أن ينتمى لعدة نظم أو أنساق اجتماعية فى وقت واحد

مثلاً المقصود بمجموعة العلاقات والروابط التى تتعلق بتكوين الأسرة ونظام القرابة وتربية الأطفال وشبكة العلاقات بين الزوجين وبينهما وبين الأولاد ، والعلاقات مع الأصهار ..الخ كل ذلك يكون ما يسمى نظام الأسرة أو النظام العائلى .

(الأنساق الاجتماعية للبناء الاجتماعي):

١–النسق الأيكولوجي. ٢–النسق القرابي. ٣–النسق السياسي.

٤–النسق الاقتصادي. ٥– نسق الضبط الاجتماعي والقانوني.

- **مجتمع بدائى**

فهو مجتمعا صغيرا سواء من حيث عدد السكان او تشعب العلاقات او المساحة ، كما يقصد ايضا بساطة الفنون وقلة التخصص اذا ما قورن بالمجتمعات المتقدمة ،ويرتكز بناؤه الاجتماعى على العلاقات القرابية والمحلية ، حيث يقوم تنظيمه الاجتماعى على الأسرة بمختلف أنماطها والبدنة والعشيرة والمجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بدراستها الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية.

أن كلمة بدائي لا تعنى أن هذه الشعوب لا تتمتع بتاريخ أو حضارة ، فقد مرت الشعوب البدائية بأطوار تاريخية قد تماثل فى طولها الأطوار التى مرت بها المجتمعات الأخرى غير أنه لاسباب معينة وقفت عند حد معين من التطور كذلك فان لهذه الشعوب عقائد دينية وهم يجرون الطقوس فى المناسبات المختلفة ويوقومون بالاحتفالات فى حالات الزواج وتتركز الاسرة فى البيت ولديهم نوادى وروابط تخص أهدافهم الخاصة ولديهم قيم وأخلاقيات وتنظيمات وقواعد قضائية وهم يتكلمون

لغة معقدة ولديهم الأساطير والأقوال المأثورة وهم يمارسون الفن ولديهم معرفة واسعة بالسحر والكهانة والتكهن بالغيب

والمجتمعات البدائية تتميز بالبساطة فى فى علاقات الناس بعضهم ببعض وبساطة بناءتها وأنظمتها وتنظيماتها الاجتماعية فهى مجموعات صغيرة تتكون من العشيرة والقبيلة والقرية على حين ان الثقافات المتقدمة تتسم بتعقدها لما لها من تاريخ وماضى مما يفسر تقدمها .

وتتميز المجتمعات البدائية بأن لها تاريخ غير مكتوب نظرا لكونها ثقافات متخلفة لا تعرف الكتابة ولا شك أن الكتابة سمة أساسية من سمات الثقافة والحضارات حيث تخلف تراثا مسجلا على المعابد والأثار

وتستند المجتمعات البدائية على أنساق القرابة وصلة الدم والجوار المكانى ، ومن ثم فهى تتشابة عرقيا ، واجتماعيا حيث تنعدم الفوارق الطبقية . والمجتمعات البدائية من الموضوعات الرئيسية التي تهتم بدراستها الأنثروبولوجيا، حيث تدرس مختلف فروع الأنثروبولوجيا العامة كيفية تكيف الإنسان البدائي مع مختلف البيئات الفيزيقية والجغرافية والاجتماعية والثقافية .

- نسق القرابة فى المجتمعات البدائية

ومن المعروف أن علماء الانثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر قد اتجهوا فى دراساتهم للانساق القرابيه اتجاها تطوريا ، وذلك مع التيار الفكرى الذى ساد ذلك العصر ، حيث سيطر التفكير التطورى على كل مجالات الحياه وقد تمثل ذلك الاتجاه فى كتابات عدد من علماء الانثروبولوجيا المشهورين من امثال لويس مورجان lewis morgan وسير هنرى مين sir henry maine، وباخوفن bachofen، وماكلينان maclenan وغيرهم ، ثم طرات على تلك الدراسات القرابيه تغيرات جذريه تمثلت فى محاوله تطبيق علماء الانثروبولوجياالمحدثين المنهج الوظيفى البنائى ، وربما يعتبر رادكليف براون RADCLIFFE-BROWN من أهم العلماء الذين حاولا تطبيق هذا المنهج

ويعد رواد كليف – براون يعتبر من العلماء القلائل الذين اسهموا بالكتب المنهجيه التى تناولت موضوع القرابه بالدراسه والتحليل ومما يؤكد نظره رادكليف – براون البنائيه التحليليه فى دراسته للقرابه انه يذهب الى ضروره التعرف معرفه كامله على نسق القرابه والزواج عند دراسه اى شعب من الشعوب البدائيه، أو عند محاوله فهم أى مظهر

مـن مظـاره الحيـاه الاجتماعيـه لتلـك الشـعوب سـواء كانـت أمـوراً اقتصـاديه أو سياسيه أو دينيه .

- رادكليف براون ومالينوفسكي

منـذ بدايـة القـرن العشـرين القـرن العشـرين وصـلت الانثروبولوجيـا الـى مرحلـة التخصـص وهـى مرحلـة ذات مظـاهر متعـددة ومنـذ بدايـة تلـك المرحلـة أخـذت الدراسـات الميدانيـة أو الحقليـة Field work عـن المجتمعـات البدائيـة تتـوالى وتصـبح أكثـر نضـجا . وكـان العـالم الانجليـزى هـادون أول مـن طبـق مـنهج الدراسـة الميدانيـة عنـدما رأس بعثـة جامعـة كـامبردج المؤلفـة مـن بعـض العلمـاء لدراسـة منطقـة تـوريس فـى المحـيط الهـادى فـى المحـيط الهـادى واسـتغرقت تلـك الدراسـة عـامين مـن ١٨٩٨ الـى ١٩٠٠ ثـم عـين أسـتاذ للانثروبولوجيـا فـى جامعـة كـامبردج عـام ١٩٠٠ .

وكـان مالينوفسـكى ورادكليـف بـراون بـارزين فـى دراسـة المجتمعـات البدائيـة متتبعين عـاداتهم ووصـف حيـاة تلـك المجتمعـات فـى اتجـاه بنـائي وظيفـى وقـد كشـف هـذا الاتجـاه تصـور وخلـل الانثروبولوجيـا فـى الفتـرات

السابقة والتى كانت تتمثل فى جمع المعلومات عن طريق المخبرين او عن طريق الشخصي أو من رجال الادارة غير المدربين

فقد وصل تعميق وتركيز الدراسة الميدانية الى القمة على يد العلامة البريطانى مالينوفسكي الذى قضى فى دراسة لسكان جزر التروبرياند بمنطقة ميلاينزيا مدة استطاع خلالها أن يحلل ويفهم العلاقات الاجتماعية عندهم فهما عميقا ومنذ عام ١٩٢٤ بدأ مالينوفسكي تدريب مجموعة من الانثروبولوجيين فى مجال الدراسة الميدانية .

راد كليف براون : من أشهر علماء الانثروبولوجيا وكان تلميذ لكل من ريفرز وهادون وقام بدراسة لسكان الاندمان وهى مجموعة جزر فى خليج البنغال جنوب بورما تتبع الهند .وفى عام ١٩٣٧ أعاد تنظيم معهد الانثروبولوجيا فى جامعة اكسفوردوعمل على تطوير اتجاهاته ومن الدراسات الانثروبولوجية التى ظهرت فى هذه الفترة دراسة ايفانز بريتشارد الازاندى والنوير .

ثانيا : لمحه عن مراحل نشأت علم الأنثروبولوجيا

مرت الأنثروبولوجيا بمراحل تاريخية أهمها مرحلة القرن الثامن عشر الميلادى وهذه المرحلة مهدت لظهورها واستفادت من بعض دراسات المفكرين أمثال المفكر الفرنسى مونتسكيو Montesquieu فى كتابه روح القوانين الذى جمع فيه بين الفلسفة والسياسة والاجتماع

وظهرت في هذه المرحلة التمهيديّة بوادر الاهتمام بالمجتمع البدائي، اعتماداً على رحلات الاستكشاف للآثار والمتاحف والكشوف الجغرافية والمصادر المختلفة. وقد نُظر إلى الإنسان البدائي على أنّه متوحّش في مجتمعه، وهمجي في سلوكاته .. يتناقض كليّة مع إنسان المجتمع المتمدّن والمتقدّم. وخير مثال على ذلك، ما كتبه / جون لوك / عن الهنود الحمر في أمريكا حيث أصدر أحكاماً عامة وغير دقيقة، عن هذه الشعوب البدائية .

والخلاصة أنّ علماء القرن الثامن عشر وفلاسفته، مهّدوا بشكل أساسي لظهور علم دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وذلك نتيجة لاهتمامهم بالنظم الاجتماعية من جهة، واعتبارهم المجتمعات الإنسانية أنساقاً طبيعية، في إطار (الطبيعة البشرية) .

- القرن التاسع عشر

يمثل القرن التاسع عشر هو قرن نشأة الانثرووبولوجيا الاجتماعية بالفعل

وكانت مؤلّفات كلّ من (تايلور وماكلينان) في إنجلترا، حيث اهتمّ هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية، وأبرزوها بصورة منهجية منظّمة، من خلال دراسة النظم الاجتماعية، وفي حدود الأبنية الاجتماعية لهذه المجتمعات، وليس في حدود الفلسفة وعلم النفس. فوضعوا بذلك أسس علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

ولم يكن رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في القرن التاسع عشر، يعتمدوا على أنفسهم فى جمع المعلومات الاثنوجرافية عن المجتمعات التى يدرسونها ، بل اعتمدوا على أقوال الرحالة والمستكشفين ورجال الإدارة ، ولم يحدث أن قام أحدهم بالذهاب الى مجتمع الدراسة ليجرى دراسة ميدانية بنفسه ويعايش الواقع ويلاحظ الظواهر والعلاقات ، ولذلك تعدّ هذه المرحلة فترة نشوء هذا العلم، وليست فترة كماله ونضجه، لأنّ الدراسات الميدانية / التطبيقية تعدّ من الركائز الأساسية لتكامل هذا العلم بطبيعته ومنهجيّته .

- وقد شهد نهاية القرن التاسع عشر، مرحلة استكمال عناصر الأنثروبولوجيا ووضع العناصر الأساسية للعلم .
- وفى نهاية القرن التاسع عشر امتدّ منهج دراسة الأنثروبولوجيا إلى الدراسات الميدانية. واعتبرت الدراسة

التـــي قـــام بهـــا العـــالم الانجليـــزي / هـــادون /علـــى منطقـــة مضـــايق (تـــوريس) مـــع بعثـــة علميـــة، نقطـــة تحـــوّل أساســـية في تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

<u>بداية القرن العشرين ورواد الأوائل فى علم الأنثروبوجيا</u>

وصـــلت الأنثروبولوجيـــا مـــع بدايـــة القـــرن العشـــرين إلـــى مرحلـــة التخصّـــص بدراســـة البنـــاء الاجتمـــاعي للمجتمعـــات ، ولا ســـيّما المجتمعـــات القديمـــة، حيـــث ازدادت الدراســـات الميدانيـــة. وبـــدأت ملامـــح التخصـــص الـــدقيق والتوســـع فـــى مجـــال الأنثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة مـــع رادكليـــف بـــراون الـــذى أجـــرى دراســـته علـــى ســـكان جـــزر الأنـــدمان وقضـــى فـــى اجرائهـــا عـــامين(١٩٠٦- ١٩٠٨) وقـــد تصـــدرت الدراســـات الانثروبولوجيـــة باعتبـــار انهـــا محاولـــة يقـــوم بهـــا متخصـــص بـــالرجوع الـــى مجتمـــع بـــدائي معـــين ، وكانـــت تصـــف الحيـــاة الاجتماعيـــة فـــى المجتمـــع علـــى عكـــس دراســـة بعثـــة هـــادون والتى ركزت على الجوانب النفسية .

دراســـة / مالينوفســـكي / لســـكان جـــزر (التروبوبريانـــد) لمـــدّة أربـــع ســـنوات، واســـتخدم فيهـــا لغـــة أهـــالي هـــذه الجـــزر. فكـــان بـــذلك أوّل أنثروبولـــوجي يـــتمكّن مـــن فهـــم حيـــاة النـــاس وعلاقـــاتهم

الاجتماعيـــة، مـــن خـــلال تتبّـــع عـــاداتهم وتقاليـــدهم، وتحليـــل مدلولاتها الاجتماعية .

فـــي الربـــع الثـــاني مـــن القـــرن العشـــرين(١٩٢٤ -١٩٥٠) فـــى هـــذه الفتـــرة تميـــزت الأنثروبولوجيـــا بتطبيـــق المـــنهج الانثروبولـــوجي واجـــراء الدراســـات الميدانيـــة نتيجـــة لتـــأثير / مالينوفســـكي / الـــذي بـــدأ منـــذ عـــام ١٩٢٤، وجهـــود / مالينوســـكي وبـــراون / مـــن ذوي الخبـــرة فـــي الدراســـات الأنثروبولوجيـــة الميدانيـــة، أجريـــت الدراســـات الميدانيـــة علـــى مجتمعـــات صـــغيرة فـــي أفريقيـــا (دراســـة نظـــم القرابـــة والطقوس والسياسة) .

فـــى عـــام ١٩٣٧ طـــور راد كليـــف بـــراون منـــاهج الأنثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة بجامعـــة اكســـفورد وهـــو مـــا اســـهم فـــى اجـــراء مزيـــد مـــن الدراسات الميدانية على منطقة جنوب ووسط أفريقيا.

أجـــرى ايفـــانز برتشـــارد أول دراســـة مركـــزة علـــى الشـــعوذة والســـحر بـــين الأزانـــدى بالســـودان ، لقيـــت البحـــوث والدراســـات الانثروبولوجيـــة الاجتماعيـــة تشـــجيعا مـــن الحكومـــة البريطانيـــا فازدهرت هذه البحوث وخاصة فى أفريقيا .

ولا تـــزال الانثروبولوجيـــا تواصـــل ازدهارهـــا فـــى العـــالم بعـــد أن صـــارت تخصصـــا أكاديميـــا راســـخا فـــى معظـــم الجامعـــات ، وأصـــبح للأنثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة فـــروع مســـتقلّة تـــدرّس فـــي الجامعـــات الأوروبية، ولا سيّما في الجامعات البريطانية ..

ازدهـرت الأنثروبولوجيـا واهتمـت بدراسـة كـل المجتمعـات التقليديـة والقرويـة والحضرية بمناهجها وأساليبها المتميزة كما شـهدت أيضـا تعاونـا بينهـا وبـين فروع علم الإنسان الأخرى بل وبينها وبين العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع وعلم النفس . ١ ٢

الفصل الرابع

مناهج البحث في الانثروبولوجيا

مقدمة

ان التقارب الشديد بين موضوعات العلوم الاجتماعية يصاحبة تشابه فى المنهج وطرق البحث ، فبينما تتخصص الانثروبولوجيا الثقافية فى دراسة الثقافة ككل ، نجد أن موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية هو دراسة القطاع الاجتماعي للثقافة او البناء الاجتماعي ، ونلاحظ أن موضوع علم الاجتماع هو المجتمع والسلوك الاجتماعي ، وموضوع علم الاقتصاد هو الطرق التى يستخدمها الانسان ليكسب عيشة ، ولاشك أن التداخل بين تلك الموضوعات واضح ، ويتضح بصورة قوية عند القيام بالدراسات الميدانية أى اثناء ملاحظة الواقع الاجتماع ، ولا يقتصر التقارب بين العلوم الاجتماعية على تداخل موضوعاتها وإنما أيضاً تتشابه وتتداخل مناهجها وطرق البحث فيها إذ يشترك كل العلوم الاجتماعية فى تطبيق المنهج العلمي الذى يتلخص فى :

١-دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية بحيث تعبر عن حقيقة ما هو كائن بدون تدخل الميول والمصالح الشخصية .

٢-دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة دقيقة وكلما استطعنا ترجمة تلك الدقة الى رموز كمية .

٣-دراسة الظاهرة الاجتماعية للوصول فى النهاية الى القانون الذى تخضع له الظاهرة ٠

- والمنهج العلمي في البحث هو إتباع خطوات منطقية معينة في تناول المشكلات أو الظاهرات أو في معالجة القضايا العلمية.
- يمكن القول أن منهج البحث هو أسلوب للتفكير والعمل يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وعرضها وتحليلها للوصول للنتائج المرجوة وتحقيق أهداف البحث .
- يرتبط المنهج المستخدم في البحث العلمي بموضوع ومحتوى وأهداف البحث تحت الدراسة.

ولكن رغم هذا التشابه فى مناهج العلوم الاجتماعية بينما يستخدم كل منها طرق بحث تتفق مع الموضوع التى يتخصص فى دراستها؛ وهكذا نلاحظ أنه بينما تتفق العلوم الاجتماعية فى الموضوع وهو الحياة الاجتماعية فأنها أيضا تتفق فى المنهج المستخدم فى دراسة ذلك الموضوع أى المنهج العلمى٠

تتعرض العلوم الاجتماعية لبعض المشاكل فيما يختص بتطبيق المنهج العلمى، وترتب على تلك المشاكل قلة عدد القوانين الاجتماعية التى توصلت إليها بالنسبة للعدد الهائل من القوانين التى وصلت إليها العلوم الطبيعية، وترتب عليها كذالك عدم وصول دقة قوانين العلوم إلى درجة دقة قوانين العلوم الطبيعية وحاول المفكرون تفسير هذا القصور من جانب العلوم الاجتماعية، فأرجعه بعضهم إلى حداثة العلوم الاجتماعية إذا قورنت بعمر الطبيعة .

ويفسر البعض الأخر هذا القصور على أساس أن الظاهرة الاجتماعية أكثر تعقيدا من الظاهرة الطبيعية .

ولا أدل على إمكانية تطبيق المنهج العلمى على الظواهر الاجتماعية والثقافية

نجاح بعض العلوم الاجتماعية فى الوصول إلى قوانين إجتماعية وثقافية قريبة جدا فى دقتها من القوانين الطبيعية.[٢٢]

١- <u>يعتبر المنهج الوصفي</u>

أحد المناهج المهمة المستخدمة فى البحث العلمي اذ يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد فى الواقع ، تمثلت بدايته من خلال كتابات المؤرخين القدامى والرحالة والمستكشفين الذين سجلوا بعض الصفات والغرائب التى لفتت انظارهم عند زيارتهم للشعوب البدائية او المجتمعات المختلفة قديما وكان القصد منها هو تقديم صورة وصفية لهذة المجتمعات ولكنها على أيه حال مهدت السبيل لقيام نزعة علمية وصفية تحليلية للدراسات الانثروبولوجية . ويسهم المنهج الوصفى فى تقديم وصفاً دقيقاً للظاهرة ويعبر عنها تعبيراً كيفياً فالتعبير الكيفى يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقماً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخري.

فهو طريقة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة أو موقف أو أفراد وأحداث أو أوضاع معينة بهدف اكتشاف حقائق جديده أو

التحقق من صحة حقائق قديمة وأثارها والعلاقات التى تتصل بها وتفسيرها وكشف الجوانب التى تحكمها [٣]

وبصفة عامة يمكن القول إن البحوث الوصفية تهدف إلي دراسة ووصف وتحليل خصائص وأبعاد ظاهرة من الظواهر في إطار معين يتم من خلاله تجميع المعلومات اللازمة عن الظاهرة وتنظيم هذه البيانات للوصول الى اسبابها ومسبباتها والعوامل التى تتحكم فيها وبالتالى استخلاص نتائج يمكن تعميمها مستقبلاً .

٢. المنهج المقارنة

ان الانثروبولوجيا الاجتماعية دراسة وصفية مقارنة للسلوك الاجتماعي وبالتالي فالانثروبولوجي لا يكتفى بوصف السلوك الاجتماعي والعلاقات والنظم الاجتماعيه وانما يذهب بعيدا الى ما وراء الوصف ، حيث يحلل المعلومات الوصفية لتحديد لانماط العلاقات الاجتماعية وفهم البناء الاجتماعيى ككل، ويستخدم علم الأنثروبولوجيا المقارنه في دراسة

الإنسانComparative Method) ، فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا؛ حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الاجتماعية وثقافاتها

اذاً أساس هذه الطريقة هو عدم الاكتفاء في الحصول على المعلومات والتؤكد منها على دراسة ميدانية واحدة، بل على دراسات ميدانية متعددة ولاشك أن كثرة الدراسات الميدانية فى مجتمع الدراسة تثرى النظرية السوسيولوجية من ناحية وتساعد على توسيع نطاق المقارنه على المستوى الرأسى والافقى من ناحية اخرى ويقصد بالمستوى الرأسى (زمانى وتاريخى) المقارنه بين ظاهرتين او نظامين اجتماعيين فى مجتمع واحد فى فترتين زمنيتين مختلفتين ومثال ذلك حينما نقارن بين نظام الزواج فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى والعصر التركى على حين يتمثل النوع الثانى من المقارنة فى المستوى الافقى

(المكانى – الجغرافى) حيث نقارن مثلا بين نظام القرابة فى مصر ونظيره فى الهند ، وعلي هذا الاساس فان كل دراسة جديدة لمجتمع ما توسع من مجال المقارنة ، اما الدراسات الوصفية التى قدمها الرحالة والمبشرون والصحفيون وغيرهم من الهواه لا، فهي لا تصلح للمقارنة .

وباستخدام هذه الطريقة يتمكن الباحث من

أ. يفهم البناء الاجتماعي كله وليس جزء منه.

ب. يكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية.

ج. الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية.

وإذا تمكن الباحث من فهم تلك الوظائف الثلاث بالنسبة لمجتمع واحد بعينه، يتمكن بعد ذلك مقارنة تلك الوظائف بمثيلاتها في مجتمعات أخرى .

يميل بعض الأنثروبولوجيون وخاصة المتخصصين فى الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراستهم الميدانية فى مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ويعرف هذا الاتجاه "بتقليد مالينوفسكي" ويتلخص فى التخصص فى مجتمع واحد او ثلاثة مجتمعات على الاكثر . وأكد الباحث مالينوفسكي بأنه لا يمكن فهم الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة ومركزة. وقد نفذ مالينوفسكي تأكيده

هذا عندما درس قبائل "التروبرياند" إحدى قبائل شرق آسيا الكبيرة، بمنطقة ميلانيزيا دراسة مطولة استغرقت أربع سنوات، وكان أول من استخدم لغة الأهالي في جمع المعلومات. وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التعمق والتغلغل في الحياة الاجتماعية لتلك القبائل ووضع عنها عدة مؤلفات تدور كلها حول ثقافتهم ولاشك أن تقليد مالينوفسكي يتعارض بعض الشئ مع اتجاه إجراء المقارنات بين الأبنية الاجتماعية للمجتمعات المختلفة لأنه يركز اهتمام العالم بمجتمع معين ويؤدي الى قلة عدد الدراسات مما يعرقل المقارنات ، وقد لاحظ العلامة (برتشارد) تلك المشكلة ونادي بتطبيق نوعا من المقارنة أطلق علية اصطلاح المنهج التجريبى .

ثالثاً- أدوات البحث في الأنثربولوجيا

إنّ أهمّ إسهامات الأنثروبولوجيا يتمثّل في منهجها البحثي ، فالدراسة الميدانية (الحقلية) تتطلّب ماهو أكثر من وجود الباحث ومراقبته السلبية لما هم عليه الناس وذلك ، لأنّ الباحث يحتاج غالباً في ملاحظته ، إلى

التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي (النظري) يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه .

ويعتمد الانثروبولوجيون على تطبيق المنهج العلمي بجميع عناصره معتمدين على طرق بحث معينه أهمها : الملاحظه بالمشاركه أو المعايشة وترجع هذه الوسيلة في الانثروبولوجيا إلى مالينوفسكى.

تختلف وسائل كلّ طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها .

وقد أقرّ علماء الأنثروبولوجيا بعض الطرائق الميدانية التي يمكن اعتبارها أيضاً أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني، ومنها :

١- الملاحظة المباشرة: Monography:

وهي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة. وهي تهتم بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها. العرقية أو السلالية، وأصولها الثقافية، ودياناتها وطقوسها وقيمها وتقاليدها.

والباحث يجب أن تتوفر فيه شروط:

- يجب أن يتدرب تدريباً دقيقاً على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الأجتماعية.
- يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج.
- عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب، وبفكر بمثل ما يفكرون.
- إذا لم يتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الأمكانات، عليه أن يتخذ وسيطاً، أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانه في نقل المعلومات والترجمة.
- على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ.
- على أن يستعين بكافة الوسائل التي تعيينه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه، قبل آلات التصوير، وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستفادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها. أن يتم جمع البيانات بطريقة تلقائية لا تشعر الآخرين بأنهم مراقبين أو مقصودين، مثل المشاركة في الأحاديث العابرة، أو في بعض الشعائر والمراسم والعادات
- بعد حصول الباحث على المعلومات والبيانات التي يحتاجها في دراسته يقوم بتبويبها وتصنيفها إلى مجموعات متجانسة، وفي شكل

تكرارات، إحصائية، تفيد في الوصول إلى استنتاجات محددة. حيث يتمكن الباحث الأنثروبولوجي بهذه الطريقة أن يصنف بعض النظم الأجتماعية إلى أنماط محددة، كتصنيفهم على أساس نوع القرابة العائلية، أو الدينية، أو المنافع الاقتصادية، أو نظام الحقوق والواجبات، أو المراكز الاجتماعية للأفراد...إلخ.

٢- الملاحظة غير المباشرة:

يعتمد هذا الأسلوب الأثنوجرافي على جميع المعلومات والحصول عليها من خلال مصادر أخرى كالرجوع إلى آراء ومؤلفات الباحثين والدارسين السابقين أو المعاصرين، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة والمسافرين، أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والرواية التي تكون ذات علاقة بموضوع الدراسة. وفي هذه الحالة يجب أن يعتمد الباحث على شروط منها:

أ. تدقيق الباحث في المصادر والإحاطة بها.

ب. فهم الباحث ما تحتويه تلك المصادر من معلومات.

ج. استبعاد المصادر والمعلومات التي يعتريها الشك.

د. الابتعاد عن المعلومات التي تأتي من غير المتخصصين في موضوع الدراسة.

وأن المصادر، أو المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الباحث في هذه الطريقة على أنواع كثيرة منها:

أ. المصادر أو المعلومات المكتوبة، أو المروية بالتواتر.

ب. المعلومات التي يمكن استنباطها من الأساطير أو الفولكلور الشعبي كالأغاني والموسيقى والقصص والأمثلة التقليدية وروايات البطولات التي يتناقلها أفراد المجتمع وما ينسج حولها من أساطير.

ج. العادات التقليدية والمعتقدات الشائعة بين الناس، وكذلك آداب السلوك التي يراعيها أفراد المجتمع.

٣.الملاحظة بالمشاركة :

وهى طريقة بالغة الاهمية فى الدراسات الانثربولوجية اذ انها تضفى عليها طابعا خاصا يميزها عن دراسات العلوم الاجتماعية الاخرى ٠ وتعتمد هذه الطريقة على قاعدة اساسية تتمثل فى ضرورة ان يعيش الباحث وسط المجتمع الذى يدرسه ويعايشة معايشة كاملة ٠ ويندمج فى نسيجة حتى يصبح عضوا فيه ويحظى من المجتمع بالقبول والترحيب ، ولكي يتحقق هذا الوضع فلابد أن يضطلع الباحث بدور ما فى هذا المجتمع ليتمكن من ملاحظة السلوك اليومي بشكل تلقائي وبلا تكلف أو تُزيد ٥ ٢

تتلخص فى أن يشارك الباحث فى الأنشطة الاجتماعية للمجتمع المدروس حيث ان الباحث في بداية دراسته الميدانيه يواجه مشكلة الدور

الذي يجب أن يؤديه في مجتمع الدراسة للحصول على البيانات والمعلومات الصحيحه.

حيث ان وجود الباحث في عشيرة أو قبيلة ما تدفع الافراد موضع الملاحظه إلى تغيير سلوكهم العادى أو إلى الإدلاء باقوال لاتعبر عن الواقع، أو خداع الباحث وذلك لشعورهم بانهم خاضعون لملاحظة غيرهم وللخروج من هذه المشكلة ، ولذلك وجب على الباحث ان يقوم بدور ما في المجتمع حتى يقبله افراد المجتمع وكأنه احدهم وبالتالى يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته وإبعاد شعور العداء لديهم فيجمع المعلومات الصحيحه ،وهكذا يذهب الأنثروبولوجى الى المجتمع الذى يدرسه ليعيش فيه فترة كأن يمارس الباحث بعض الطقوس الدينية أو الاجتماعية، أو يقوم ببعض الأعمال التي تعدّ من النشاط اليومي للجماعة، وتعلم اسلوب الحياة الجديدة ، ويستخدم نفس لغتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم فى تفكيرة ،ويعتنق قيمهم ، ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم ، واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم . ويدخل فى بعض الاحيان كعضو فى جمعياتهم اذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك وعليه

طوال تلك الفترة أن يكتب تقريرات يومية عن كل صغيرة وكبيرة تقابلة ملتزمًا بالموضوعية وعندما تتضح له فكرة عامه عن اسلوب المعيشة فى المجتمع يبدأ فى عملية التحليل وكشف عناصر البناء الاجتماعى حتى تصبح دراسته مفهومه على مستوى التحليل الاجتماعى ، وهو هنا لايكتفى بمجرد السرد الوصفى للحياة الاجتماعية فى مجتمع دراسته وانما يحاول الكشف عن الترتيب البنائي الذي يكمن تحتها اي يكشف عن النماذج والانماط التى تمكنه من ملاحظة البناء الاجتماعي ككل مترابط الاجزاء ولا يمنع من التركيز فى الدراسة على نظام اجتماعي مثل نظام الزواج او النظام الاقتصادي او النظام القرابي ...[٦]

يعد مجتمع البحث عينة شاملة ويكون كل فرد في المجتمع مصدرا للمعلومات مما يتيح المجال الحصول على معلومات أكثر دقة وشمولية. ولا يقتنع الأنثروبولوجى بملاحظة وصف ثقافة مجتمع ما وإنما يحاول الكشف عن الترتيب البنائى الذى يكمن تحتها أى أن يكشف عن النماذج والأنماط التى تمكنه من ملاحظة الثقافة ككل مترابط الأجزاء ويعرف ذلك الأسلوب بالطريقة الكلية وهى إحدى الخصائص الرئيسية فى منهج الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية .[٧]

تحتاج هذه الطريقة، إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة. وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقّة وموضوعية، حيث يتوقّف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة .

* يفضل بعض الباحثين اللجؤ إلى الآعتماد على وسيلة الملاحظة بالمشاركة وذلك لميزاتها التالية:

- إمكانية الحصول على معلومات وفيرة عن مجتمع الدراسة.
- تكوين صورة واقعية للظاهر الملاحظة.
- الوصول إلى تحليل عميق وتفسير أكثر دقة.
- تتيح إمكلانية استخدام الحواس الخمس في في جمع الحقائق.
- الملاحظ هو الذي يقرر ويحدد المعلومات وليس المبحوث.
- تصلح لجمع المعلومات ممن لا يعرفون القراءة والكتابة مثل المجتمعات البدائية .

***حدد العلامة(ايفانز بريتشارد) شروط نجاح عملية الملاحظه بالمشاركه في الانثرووبولوجيا الاجتماعية في الاتى :**

١. ان تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافيه في الانثروربولوجيا عامة وعلم الاجتماع خاصة قبل الدراسة الميدانيه وتطبيق الملاحظه بالمشاركه.

٢. ان يقضى الباحث فترة كافيه في مشاركة افراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم ويجب الا تقل الفترة عن عام ولاشك أن تحديد الفترة الكافيه يرتبط بعوامل متعدده مثل "حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها.

٣. ان يكون الباحث طوال فترة الملاحظه على صلة وثيقة بالاهالى عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

٤. ان يستخدم الباحث في حديثه مع افراد مجتمع الدراسة لغتهم الأصلية .

٥. ان يدرس الباحث جوانب الحياة الاجتماعية كلها لفهم البناء الاجتماعى وتحديد وظائفه.

٦. لابد من توفر نوع معين من الشخصية فبعض الناس لايستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الاصلى فغالبا تكون الحياة في مجتمع الدراسة قاسية كالظروف غير الصحية في المجتمعات البدائيه مثلا.

٧. ان يتخلى الباحث عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يتمكن من تحقيق الملاحظه الموضوعيه.

مثالا على هذه الطريقة الكلية فى الدراسات الانثروبولوجية يمكن أن نستمده من دراسة تقليدية قديمة(١٨٣٦) ولكنها تضارع الدراسات الحديثة والمعاصرة ان لم تتفوق على بعضها والمثال فى دراسة وليم لين فى كتابة " المصريين المحدثين " وخاصة الفصل الثامن عشر الذي يدور حول(الموت والشعائر الجنائزية) حيث يصف الخطوات التى يقوم بها الناس حين يدخل احدهم فى دور الاحتضار ويتابع كل العادات والافعال التى تتعلق بتهيئة الجسد للدفن ثم تشييع الجنازه ويصف لنا عملية الدفن كما يصف القبر ويتكلم عن معتقدات الناس عن حياة الروح بعد الموت وغير ذلك من مسائل ٠

وفى مجال وصفة للقبر والدفن يقول " ان حفرة القبر تكون على العموم من الاتساع بحيث تكفى لدفن اربعه اجساد او اكثر وحين يراد دفن الذكور والاناث جميعا فى نفس الحفره وهذه ليست العادة الشائعة المتبعه – يقام حاجز ليفصل اجساد الجنسين عن الاخر ٠

اما الباحث الانثروبولوجى فلن يقف عند حد هذه الملاحظة بل سيرى فى هذه العادات انعكاسا لطبيعة العائلة فى مصر وتنظيمها وتماسكها كوحدة قرابية واقتصادية وسياسية متميزة ٠ اذ سيلاحظ فى نفس الوقت ان افراد العائلة وحدهم هم الذين يدفنون فى نفس القبر .

كذلك سوف يهتم بدراسة درجة القرابة بين الافراد الذين يباح دفنهم فى القبر الواحد وسيرى حينئذ انهم ينتمون غالبا الى العصبية القرابية كالاخوة مثلا او الاب وابنائة . وسوف يظهر له ان هناك ترتيبا فى احقية الدفن بمعنى انه يأتى بعد العصبية القرابية اعضاء لعصبة الاقل قربا والذين يلونهم مباشرة مثل ابناء العمومة ثم افراد العصبة الاكثر بعدا مثل ابناء العمومة من الدرجة الثانية. وهكذا وقد يرى الباحث فى ذلك دليلا على اختلاف قوة الروابط العائلية التى تقوم فى الاصل على مبدا العصبية وتدرجها.

بل انه قد يقارن بين هذه الروابط وتدرج الالتزامات السياسية مثل واجب الاخذ بالثأر أو المساهمة فى دفع الدية والالتزامات الاقتصادية كواجب الاتفاق والمساعدة وقواعد الوراثة والتوريث وما الى ذلك من الناحية الاخرى

وقد يلاحظ الباحث ايضا انه فى كثير من الاحيان – حين تموت المرأة المتزوجة – فانها تدفن فى مدافن عائلة ابيها وليس فى مدافن عائلة زوجها ، فالزواج لم يفقدها شخصيتها القديمة ولم يقطع علاقتها تماما بعائلتها الاصلية التى ترتبط بها بروابط العصبة ولم يحرمها من الانتساب الى الاب بل يظل تحمل اسمه ويكون لها الحق فى ان ترثه كما انها ترث وتورث بعض افراد عصبتها فى حالات معينه ، فروابط العصبة او روابط القرابة فى سلاله الذكور تظل قائمه فعاله حتى بعد الزواج رغم ان المرأه تنتقل بالزواج من بيت ابيها الى بيت الزوج ، ومن هنا لابد ان يتطرق الباحث الى دراسة مشكلة التعارض بين مبدأ انتقال الزوجة الى بيت الزوج ورابطة القرابة الابوية وما يفرضه كل من المبدأين من واجبات والتزامات.

ومن هنا يتضح ان العمل الميدانى فى الانثروبولوجيا العامة الاجتماعية و الانثروبولوجيا الاجتماعية قوامه الملاحظة المباشرة للسلوك . تلك الطريقة المنهجية التى تساعد الباحث على مواجهة التضارب فى الاجابات الذى ينجم عن استخدام المقابلة والتقارير اللغوية والأسلوب المستخدم فى اجراء المقابلة ذاتها وهكذا تصحح الملاحظة المشاركه الاخطاء الواردة فى جمع المادة الميدانية – بالطرق الاخري – وتزيل التضارب فى التفسيرات الاجتماعية ، ومن ناحية أخري فان الملاحظة المشاركة تساعد الباحث الانثروبولوجيى على المقارنة بين أنماط السلوك الواقعية وانماط السلوك المثالية وذلك ليتعرف علي اساليب السلوك السائدة فى المجتمع الذى يدرسة .

٢.المقابلة : interveiw

وهى طريقة منهجية بالغة الاهمية يعتمد عليها الانثروبولوجى وغيرة من المتخصصين فى العلوم الاخرى – فى دراستة الميدانية – وتتلخص هذه الطريقة فى انها تتيح فرصة اظهار سمات شخصية الافراد واعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التى تدور حول الاسئلة ، والواقع ان المقابلة تتيح للباحث ان يقترب اشد الاقتراب من الجماعات

التى يتصل بها فى اثناء قيامه بدراسة احد النظم او الظواهر الاجتماعية ٠ ولكن هذا الاقتراب رهين بمدى تقبل المجتمع للباحث . ولذلك يميل بعض الانثروبولوجيين فى الوقت الراهن الى تعلم اللهجة العامية التى تسود المجتمع المراد دراسته ويعتبر هذا التعليم والتدريب ضروريا بالنسبة لاجراء البحث واكثر ضرورة عند كتابة هذه اللهجة . وفى هذه الحالة ٩ يحصل الانثروبولوجى على المادة العلمية شفاهة من الاخباريين والتقارير التى يسجلها فى اثناء المقابلات او المناقشات الخاصة والمذكرات المختصرة التى يدونها فى وجودة فى موقف اجتماعى خاص او اثناء مشاهدة حدث معين ٠

والباحث فى هذه الحالات ينبغى عليه تدعيم ثقته بالاخباريين حتى يسمحوا له بتدوين تلك المعلومات او تسجيلها بالوسائل الصوتية والمرئية . فاذا لم يكن قد اكتسب ثقتهم بعد فيمكنه تدوين النقاط الاساسية بطريقة لا تثير الشك وفى بعض الاحيان لا يكتب الباحث ايه معلومات اثناء المقابلة وانما يحتفظ بكل ما سمعه الى ما بعد انتهائها فيكتبه قبل ان تخونه الذاكرة وينساه .

والجدير بالذكر ان الانثروبولوجى الاجتماعى يعتمد على المقابلة بالاضافة الى اعتمادة على الملاحظه المشاركة حيث يلتقى مع بعض افراد المجتمع الذين يتمتعون بسمعه طيبه ويحاول فى المقابلات الاولى ان يكسب ثقتهم وبعد ذلك يوجه اليهم الاسئلة ويتيح لهم فرصة الاجابة المستفيضه كما يحاول ايضا ان يشجعهم بكلمة او اشارة تزيد حماسهم فى الاسترسال حول الموضوع الذى يدرسه .

<u>هناك نوعين للمقابلة</u>

أ.المقابلة الموجهة: وهي طريقة يقوم على إعداد استمارة مبنية من عدد من الأسئلة وتصاغ الأسئلة بدقة، وتكون مفاهيمها مرتبطة بصورة مباشرة بموضوع الدراسة وتشتمل على عدة إجابات محتملة ، ويسهل تفريغها في جداول. ويقوم الباحث بقراءة الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته، ويترك له حرية الأجابة عن تلك الأسئلة، ويقوم الباحث بتسجيل الأجابات وفقاً لبنود الأستمارة سلباً أو إيجاباً أو احتمالاً ، ويلاحظ قراءة الأسئلة يجب أن تتم بصورة محايدة بحيث لا تؤثر على اجابات المستمع وتستخدم تلك الطريقة فى ابحاث علم الاجتماع ، ولكنها غير منتشرة فى الدراسات الأنثروبولوجية ويرجع السبب فى ذلك الى أن استخدام طريقة

المقابلة تثير شكوك الفرد لعدم تعوده على تلك الطريقة الرسمية فى الحديث وخاصة أنه فى الغالب لا يعرف القراءة والكتابة ولم يحدث أن قابلة أحد وأخذ يسجل أقوالة ، ولذلك لا يستخدمها الأنثروبولوجيون إلا فى المجتمعات المتدنية وبجانب طريقة الملاحظة بالاشتراك وطريقة المقابلة غير الموجهه ٣

وهي طريقة أكثر ما يستخدم في المجتمعات المتحضرة والمتمدنة.

ولا يمكن استخدامها في المجتمعات البدائية لعدم وعيها ودرايتها بأهمية المعلومات التي لديهم ولشكوكهم حيال مثل هذه الدراسات.

ب.المقابلة غير الموجهة : قوام هذه الطريقة يعتبر على مقابلة بعض أفراد المجتمع بالذات الأفراد البارزين والقياديين الذين يتمتعون بسمعة طيبة بين أفراد المجتمع المدروس. والباحث هنا عند اختياره مثل هذه الشخصيات يحاول أن يكتسب ثقتهم وتكون بينه وبينهم علاقات طيبة تجعلهم يفتحون قلوبهم له، ويوفرون له الحقائق والمعلومات الصحيحة والدقيقة غير المزيفة. مثل هؤلاء يعتبرون بالنسبة للباحث إخباريون. إذ يتيح لهم الباحث فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات التي يطرحها

دون توجيه أو تدخل. وعندما يتنقلون في الحديث من موضوع إلى آخر عليه أن لا يحاول إيقافهم أو قطع حديثهم، بل يشجعهم على ذلك ويدعوهم للاسترسال في الحديث الذي يهم الباحث وبطريقة لبقة. الباحث هنا وبكل حذر وبدون تصرف يثير الشك والريبة، عليه أن يدون كل ما يسمعه أو تسجيلها بالآلات الحديثة. وإذا كان هناك من ممانعة في التسجيل على الباحث أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، ثم يدون التفصيلات بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة . هذه الطريقة مفيدة لأنها تظهر خصائص الأفراد الشخصية وسماتهم الذاتية، من خلال إعطائهم معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة. وتتلخص أهمية هذه الطريقة فى أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وإعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التى تدور حولها الأسئلة ولا توجد تلك المميزات فى طريقة المقابلة الموجهة .

٣. ادوات مساعدة يستخدمها الانثروبولوجى :

ومن الادوات المساعدة التى يستخدمها الانثروبولوجى اثناء دراسته الميدانية وجمع مادته الحقلية ما يلى : السجلات والوثائق والتقارير

المنشورة واجهزة التسجيل الصوتى "المسجلات " والتسجيل المرئى والات التصوير.

ولاشك فى ان السجلات والوثائق والتقارير المنشورة تفيد الباحث فى بحثة . فهي إحدي الأدوات والمصادر التى تزود الباحث بالمعلومات والمعطيات اللازمه أثناء انجاز الابحاث والدراسات ، فيعمل الباحث من أجل الحصول علي بعض الوثائق التى لها صلة بالموضوع من خلال ما تقدمة له من معلومات من الظاهرة أو النظام الاجتماعى الذى يدرسه . وتتيح له هذه المادة المكتوبة فرصة اجراء المقارنات بين الظاهرة او النظام موضوع البحث فى فترات زمنية مختلفة (مقارنة رأسية) للتعرف على اوجة الثبات ومعالم التغير ومحاولة البحث عن العوامل الفاعلة وراء ذلك ٠ اما اجهزة التسجيل بنوعيها المسموع والمرئى فهى تسجل لواقع حى ينبض بالحركة والحيوية والاحتفاظ بها مدة طويلة مما ييسر فى المستقبل اجراء المقارنات بينها وبين دراسات اخرى احدث منها للوقوف على ما طرأ عليها من تغيرات .

ولابد من الاشارة الى ان هذه الادوات التكنولوجية الحديثة ليس من السهل استخدامها فى البحوث الانثروبولوجية نظرا لتحفظ بعض الاخباريين على استخدامها – شكا فى الباحث توجسا لخيفة منه او جهلا يفرضه او نفورا منه.. و بالتالى ينبغى ارجاء الاعتماد عليها حتى تتضح اغراض البحث ويقدم الباحث نفسه لمجتمع الدراسة ويتفهم اعضاؤه موقفه ويدعم الثقة بينه وبينهم ويبسط يدة اليهم بالألفة والمودة وحينئذ فقط يمكن له الاعتماد على هذه الادوات واستخدامها فى جمع المادة الميدانية .

ثالثا : المشكلات التى يواجهها الباحث الميداني :

لا شك فى أن البحث الأنثروبولوجيى تحيطه الصعاب ، وتغلفة المشكلات العديده وقد ترجع هذه الصعاب والمشكلات الى طبيعة موضوع البحث نفسه ، أو الى طبيعة المجتمع المدروس ، او لأى شخصة الأنثروبولوجي وطريقته فى التعامل مع أبناء مجتمع الدراسة وعلاقته بهم .

١- **بالنسبة لموضوع البحث** : قد يكون موضوع البحث عسيراً فى بداية تناوله ، وقد لا تتوفر عنه المادة العلمية المكتوبة ، وحاجة العمل الميدانى إلى الوقت الطويل الذى لا يقل بأى حال من الأحوال عن عام بالكامل. وقد يستلزم ذلك تناوله الإقامة الكاملة فى مجتمع البحث، حيث يترك الأنثروبولوجى أسرته وأهله ووطنه ، ويتفرغ تماماً للبحث ، يعانى مشكلات الإقامة والتكيف مع أفراد المجتمع وثقافتهم.

٢- **وتمثل طبيعة المجتمع موضع البحث صعوبة فى** فقد يكون مناخه غير مألوف ، وقد تكون ثقافته المنغلقة، فقد تكون لغتهم غير مكتوبة ويصعب تعلمها وقد تكون تضاريس البيئة فى المجتمع من الوعورة بحيث

تجعله عاجز عن التنقل بين ربوع المجتمع المدروس ، حيث يصعب الانتقال نظرا لقسوة البيئة او لقلة وسائل المواصلات.

٣- **ومن ناحية أخرى المعرفة المحدودة بلغة المبحوثين** فقد تكون اللغة المستخدمة غير مكتوبة وبالتالي يصعب فهمها الا من خلال المعايشة.

٤- **جانب اخر من المشكلات يتعلق بالباحث الانثروبولوجي ذاته ومقوماته الشخصية وطريقة تعاملة مع ابناء المجتمع الذي يدرسه،** فعلى الرغم من أن الأنثروبولوجي مؤهل تأهيلاً علمياً وعملياً ، إلا انهم مع ذلك يختلفون فيما بينهم فيما يتعلق بنوع التجارب والخبرة والتكوين الشخصى ، فشخصية الأنثروبولوجى تؤثر فى عمله ، فالدارسة الأنثروبولوجية ليست وصفاً دقيقاً وأميناً للحياة الاجتماعية بقدر ما هى انعكاس لشخصية صاحبها نفسه ، ومع ذلك فليس هناك ما يدعو للخوف من هذه المشكلة حيث أن العناصر الذاتية التى يدخلها الباحث كالأحكام الخلقية والقيمية التى ترجع إلى المقومات الشخصية للباحثين تميل إلى أن تصحح بعضها بعضاً. وقد

يميل الباحث الى محاباة النوع أى اقتصار الباحث على عدد محدود من المبحوثين بما لا يجعل المجتمع ممثلاً بالكامل .

مشكلات كتابة التقرير النهائي :

تبدأ المشكلات التى تواجه الانثروبولوجي عند كتابة تقريره (اسلوب التدوين ، ووقته المناسب ، ومكانه المفضل ..

ومن هذه المشكلات ما يلي :-

١-**مشكلة تسجيل المعلومات** : حيث أنه من الأفضل تدوين المعلومات في نفس مكان حدوثها، حتى يتجنب الباحث التحيز لمعلومات دون أخري ، وحتى يتحاشي أيضا دور ضعف الذاكرة حينما يدون التفاصيل التي رآها، وبالتالي لا يجهد الذاكرة في استرجاع التفاصيل بعد فوات الآوان، إلا أنه فى كثي من المواقف تكون عملية تدوين المعلومات فى اثناء ملاحظة الظاهرة قد يترتب عليه العديد من المشكلات منها:

- أن التدوين وقت حدوثها قد يزيد من شكوك المبحوثين الأمر الذي يؤدي إلي أبعادهم تلقائهم ومن ثم تتشوه الصورة الطبيعية للظاهرة.

- أن التدوين وقت حدوث المعلومة قد يؤدى الى عدم دقة الملاحظة حيث يحول التدوين دون التركيز والتعمق فى الملاحظة ويغفل الباحث عن استقراء الملاح والتعبيرات الحركية واللفظية والرموز والإشارات التي يبديها أفراد المجتمع ، والتى قد يكون لها دلالة في فهم الظاهرة أو الحدث ككل.

- ولذلك ساد الاتفاق علي تدوين كل المعلومات في أقرب فرصة بعد الملاحظة مباشرة ، كما يجب أن يكون التسجيل بشكل يومي ، وأن يشمل تقريرا مطولا عن حوادث

ومشاهدات اليوم بأكمله، ويمكن للباحث ان يجد حلا لهذه المشكلة في أن يقوم الباحث بتسجيل النقاط المهمة ورؤوس الموضوعات أو ما يذكر الباحث بها حول الظاهرة لحظة حدوثها، فهذا التسجيل لن يستغرق لحظات في قصاصات ورق .

- يمكن للباحث بعد حدوث الظاهرة أن ينتحل عذرا ليعود إلي مسكنه أو أي مكان يختلي إلي نفسه ويسجل تفاصيل الحدث بأكمله ثم يعود ويستكمل باقي ملاحظاته وهكذا حيث يمكنه ذلك من كتابة تقريره النهائي فيحللها ويتأملها ويتحاور معها علي مستوي النظرية.

٢. مشكلة تصنيف المذكرات حسب فهرس الموضوعات .

حيث يجب علي الانثروبولوجي أن يصنف مذكراته حسب فهرس يتكون من الموضوعات الرئيسية التي يدرسها ، ويخصص مكانا

واحداً للموضوع الواحد وهكذا تظهر أهمية التسجيل والتصنيف ،حيث إن الباحث أثناء ملاحظاته اليومية وتدوينه لما يلاحظه قد تتراكم الأوراق ويصل عددها إلي عددها إلي عدة الآف ، وتصل الموضوعات إلي مئات الموضوعات والعناوين الرئيسية والفرعية .

٣. مشكلة المذكرات الميدانية المادة الخام .

ان معظم الانثروبولوجيين يعتبرون أن المذكرات الميدانية والمادة التى يجمعونها من الميدان مصدر خاص للمعلومات بالنسبة لكل باحث فرد، بمعنى أن المادة الخام التى يجمعها أنثروبولوجي لا ينبغي أن يحاول أنثروبولوجيى آخر الاستفادة منها ، وهو ما يجعل البعض منهم يمزق هذه المادة بعد الاستفادة منها ، والبعض يري أنها غير ذات قيمة بعد تحليلها ، فلا يسمح بتوافر مادة خام يمكن الاستعانة بها وهو ما لا يساعد على تراكم التراث الانثروبولوجي إلا أن الأمر يتطلب حفظ هذه المادة الأثنوجرافية

أمام جموع باحثين الانثروبولوجيين آخرين حتى يستخدمونها في المقارنة ، أو الوقوف على معدلات التغير الثقافي والاجتماعي الذي طرأ علي تلك المجتمعات المدروسه .

٤.اما عن المشكلات التى تواجه الانثروبولوجي الاجتماعي

عندما يريد كتابة تقرير عن نتائج دراسته الحقلية ومشكلة نشر كافة الحقائق والوقائع :-

حيث يرى كثير من العلماء أن ينشر الباحث الانثروبولوجي كافة الوقائع والحقائق التى جمعها سواء اتفقت مع أهداف البحث أو لا تتفق ، وواجبه اذن هو التسجيل والتدوين دون الحكم على الوقائع والمعلومات وتقييمها [٢] [٣] .

الـفـصل الـخا مـس

الأنثروبولوجيا ودراسة النظام القرابي

مقدمة

انطلقت الانثروبولوجيا الاجتماعية من دراسة الجماعات الصغيرة والمنعزلة نسبيا واهتمت منذ البداية بدراسة شبكة العلاقات الاجتماعية وعمليات التفاعل الاجتماعي وانساق القرابة واثر العادات والتقاليد في البناء الاجتماعي للجماعات والتجمعات البشرية الصغيرة .

يوجد النظام القرابى فى كل مجتمع إنسانى وفى كل الحضارات ولذلك يعتبر نظاماً عالمياً ، فلايوجد مجتمع إنساني بدون نظام يحدد العلاقة القرابية بين أفرادة ، يعتبر النظام القرابى من اهم النظم التى يتكون منها البناء الاجتماعى ويتضمن نظام القرابه العلاقات القرابيه والقواعد التى تلعب دوراً هاما وحيوياً بالنسبه لبقيه نظم البناء الاجتماعى التى لايزال علماء الانثروبولوجيا الاجتماعيه يركزون على دراستها فى المجتمعات البسيطه والنظام القرابى يوجد فى كل مجتمع انسانى وفى كل مستوى حضارى

وبالتالى يعتبر نظاما عالميا إذ لايوجد مجتمع أنسانى يخلو من نظام يحدد العلاقات القرابيه بين افراده ، والقرابه نظام مؤثر فى الحياه الاجتماعيه فى أى مجتمع بشرى حيث تدور حول هذا النظام مجموعه النظم الاجتماعيه الاخرى التى تكون البناء الاجتماعى ولذلك يمكن القول باننا أذا اردنا فهم المجتمع البسيط او حتى المجتمع المركب فلابد من التعرف على النظام القرابى بداخله وادراك خيوط شبكه العلاقات القرابيه التى تشكل نسيج هذا النظام، ومن ناحيه اخرى ينبغى النظر الى القرابه على انها ظاهره أجتماعيه ومفهوم اجتماعى فى نفس الوقت إذ أن موضوع اهتمام عالم الانثربولوجيا الاجتماعيه بالقرابه ينصب على الدلالات الاجتماعيه التى تتضمنها وليس الدلالات البيولوجيه ومعنى ذلك ضروره التاكيد مره أخرى على ان نظام القرابه نظام اجتماعى ولايمكن فهمه الا فى علاقته ببقيه النظم الاخرى التى تشكل البناء الاجتماعى

ويطلق على القواعد التى تحدد أعضاء الجماعة القرابية الدموية لأعضاء مجتمع ما اصطلاح (قواعد التسلسل القرابى) وتختلف تلك القواعد بصورة كبيرة من مجتمع لأخر، أن هذه القواعد من وضع المجتمع وليست هى العلاقة السلالية البيولوجية فقط ، وتحدد تلك القواعد نطاق التسلسل القرابى للجماعة القرابية الدموية التى ينتمي إليها الفرد وتتنوع تلك الجماعات المختلفة التى ينتمي اليها الفرد من (أسرة – بدنة – عشيرة..)

أولا : أهمية دراسة النسق القرابى

القرابة نسق اجتماعي كغيره من الأنساق، ولن يمكن فهم هذا النسق الا في علاقته ببقية الأنساق الداخلية في تكوين البناء الاجتماعي ، بل الواقع ان علماء الأنثروبولوجيا يذهبون الى أنه من العسير فهم نسق القرابة في ذاته بعيدا عن الأنساق الاخرى ، فالقرابة مزيج من روابط الدم والالتزامات الإقتصادية والحقوق

والواجبات الاجتماعية والسياسة والشعائر الدينية والمعايير الخلقية ، ولقد اهتم الانثروبولوجيون اهتماماً خاصاً بالقرابة اكثر من غيرهم من العلماء الاجتماعيين ويرجع اهتمام الانثروبولوجيون بالقرابة إلى عدة أسباب :

١. فالقرابة هي النسق الرئيس الذي ترتكز عليه الابنية الاجتماعية للمجتمعات التي اهتموا بدراستها، واغلب المجتمعات يتداخل فيها النسق القرابي مع بقية النظم والانساق الاجتماعية التي يتألف منها البناء الاجتماعي تداخلاً قوياً إلى درجة الاندماج ، بل ويعتبرها بعض الأنثروبولوجين أهم أنساق البناء الاجتماعي في المجتمعات البدائية والقبلية لأن هذا البناء هو بناء قرابي يقوم على العلاقات القرابية بدرجة رئيسة، حيث تدور حول هذا النظام مجموعة النظم الاجتماعية الأخرى التى تكون البناء الاجتماعي ، ويمكن القول أنه اذا اردنا فهم المجتمع البسيط أو

حتى المجتمع المركب لابد من التعرف على النظام القرابى بداخلة .

٢. يوجد النظام القرابي في كل مجتمع انساني وكل حضارة ولذلك يعتبر نظاماً عالمياً، فلا يوجد مجتمع انساني بدون نظام يحدد العلاقات القرابية بين أفراده وتعرف الجماعات الانسانية التي تقوم على أساس الصلات القرابية باصطلاح الجماعات القرابية ، ففي الغالبية العظمى من تلك الجماعات القبلية تلعب روابط القرابة دورا جوهريا في الحياة الاجتماعية اليومية سواء في تنظيم النشاطات الأقتصادية أو تحقيق الضبط الأجتماعي أو القيام بالشعائر الدينية وغير ذلك .

٣. ربما كانت مصطلحات القرابه وتحليلها بقصد الاستدلال منها على انماط السلوك السائدة في المجتمع وبخاصه داخل الجماعات القرابيه الكبيرة و علاقه ذلك كله بنسق القرابه وبالبناء الاجتماعي هو موضوع اهتمام علماء الانثروبولوجيا

الاجتماعيه في دراستهم للمجتمعات التقليديه و البسيطه، بخاصة في ميدان الابحاث المتعلقة بالمجتمعات المحليه المنعزله نسبياً ، او التي لها طابع ثقافي متميز ، او التي لها بناء اجتماعي خاص يختلف عن البناء الاجتماعي العام السائد في المجتمع الكبير وخاصة عند بعض الجماعات القبليه التي تعيش في الصحراء مثلا او الجماعات التي لها ثقافاتها الخاصه و لها لغتها او لهجتها الخاصه مثل بعض القبائل البربريه في شمال افريقيا عند النوبين في مصر ، وذلك علاوة على الجماعات القبليه الكثيرة التي تعيش في جنوب السودان مثلا .

٤. لذا فإن دراسة مصطلحات القرابه في هذه المجتمعات المحليه والجماعات القبليه التي تعيش كفيله بان تكشف لنا جوانب كثيرة من الحياه الاجتماعيه ، وان نصل منها الى فهم اعمق

وأدق لكثير من العادات و التقاليد وانماط السلوك و نسق الحقوق والالتزامات التي تربط بين الاقارب .

ثانياً: مجالات اهتمام الانثروبولوجيا فى النظام القرابى

أولا اهم مايدرسه الانثروبولوجى الاجتماعى فى نظام القرابه

يهتم الانثروبولوجى الاجتماعى بدراسه عده موضوعات فى النظام القرابى تندرج من تحليل نظم تسلسل الانساب – وفقا للاهتمامات التقليديه حت تصل الى دراسه انماط القرابه فى المجتمع الصناعى حسب الاهتمامات الحديثه فى هذا العلم يهتم الانثروبولوجي الاجتماعي بدراسة عدة موضوعات فى النظام القرابى أهمها:

١. **تحليل نظم التسلسل القرابى:** تحليل نظم تسلسل الانساب ولاسيما فى المجتمعات التى تسير فيها القرابه فى خط واحد ويلقى الأنثروبولوجي الضوء على البناء الاجتماع للأشكال الموروفولجية البسيطة (البدنه –العشيرة) بالاشارة الى وظائفها

موضحا نوع الخط القرابى الذى ينتسب إليه الفرد والنظام القرابى السائد فى المجتمعات البدائية.

٢. **دراسة نمط الوحدات الأسرية السائد :** الشكل السائد للنمط الأسرى فى مجتمع دراسته وكيفية أداء الفرد للأدوار القرابية وحديثا فقد تطرقت الدراسات الأنثروبولوجية الى أهم المشكلات المتعلقة بالبناء الأسرى مثلا، أو موضوعات أخرى مثل التبنى وعلاقة القرابة بتوزيع السلطة فى المجتمع والتدرج الاجتماعى .

٣. **دراسة المصطلحات القرابية :** يهتم بدراسة المصطلح القرابى المحدد لطبيعة علاقة الأفراد بعضهم البعض داخل البناء القرابى.

أسس التصنيف القرابى فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية

لكل مجتمع إنساني عدد من المصطلحات القرابية فى مجتمعه حيث تتباين نظم تصنيف القرابة من مجتمع لآخر ومن المؤكد أن دراسة النظم القرابية لا تكتمل إلا بالتعرض لموضوع المصطلحات القرابية . إن كثير من مصطلحات القرابة تشير إلى فئات بعينها ، وقد استطاع العلامة (الفريد كروبر) أن يحصر المبادئ أو الأسس التى تستخدمها المجتمعات الإنسانية فى تصنيف الأقارب الى فئات وتسميات معينة ، فقد حصرها فى تسعة مبادئ وهى :

١-اختلاف الجيل .

٢- اختلاف أساس العلاقة القرابية.

٣-الاختلاف بين علاقة القرابة الرأسية المباشرة والقرابة الأفقية المحاذية .

٤-اختلاف نوع الأقارب (ذكر أم أنثى) .

٥-اختلاف نوع الشخص الذى عن طريقة تكونت علاقة القرابة

.

٦-اختلاف الأصطلاحين فى كل علاقة قرابية.

٧-اختلاف نوع الأنا (ذكر أو أنثى) .

٨-اختلاف الاصطلاح القرابى فى حالة وفاة الشخص الذى عن طريقة تكونت العلاقة القرابية .

٩-اختلاف العمر فى نطاق أعضاء الجيل الواحد.

نطاق القرابة

لذلك تعد القرابة نظاماً اجتماعيا فائق الأهمية عند كثير من الشعوب الأمية وتعتبر مصطلحات القرابة هى اساليب التخاطب العادية بين الناس بل إنه حتى الأغراب الذين تستضيفهم إحدى القبائل يخاطبون كنوع من المجاملة بأحد مصطلحات القرابة المناسبة .

ويوجد نوعان أساسيان من أنواع القرابة :

- أولهما: القرابة الدموية سواء بالقرابة المباشرة الدموية أو الاعتبارية بالتبني .
- وثانيهما: القرابة التصاهرية التي تحدد بناء على نوع الأسرة السائد من حيث خط النسب الذي يوضح التسلسل القرابي، ومبدأ التبادلية الذي بمقتضاه ينادي الشخص من جيل لشخص آخر، وكذلك من حيث مصطلحات القرابة التصنيفية والوصفية المستخدمة في كل مجتمع. التي بناء عليها تظهر أنماط مختلفة من القرابة.

فالقرابه : تعتبر من الناحيه الاجتماعيه مجموعه من العلاقات المعقده المتشابكه الى أبعد حدود التعقد والتشابك ، كما ان كل مصطلح قرابى يعبر عن عده أنساق للعلاقات القرابيه التي تشارك

في الضيق او الاتساع حسب الاشخاص الذين يدخلون في كل نسق منها. فهناك مثلاً:

١- نسق من العلاقات القرابيه خاص بأفراد الاسره و يعتبر بذلك أضيق هذا الانساق بحكم طبيعه الاسره و قله عدد افرادها و بالتالي قله العلاقات التي تقوم بينهم .

٢-ثم هناك نسق اخر اوسع من ذلك: يشمل دائرة الاقارب الخارجين عن دائرة الأسرة مباشره مثل العم والعمه من جهة الاب و الخال و الخاله من جهة الام مع ذريتهم و كذلك الاجداد الاربعه .

٣-ثم ياتي بعد ذلك نسق نموذج ثالث من المصطلحات: يستخدم لدائره اوسع من ذلك مباشرة بحيث تشمل الاقارب الذين يعيشون في نفس المنطقه او الجيره .[٤]

أنواع الجماعات القرابية

و يقصد بالاشكال المورفولوجيه انماط الوحدات الاجتماعيه التى يتكون منها المجتمع والتى ينتمى اليها المجتمع ذاته . وقد لوحظ أن الانسان فى كل مكان ينتمى – على الاقل – الى وحدتين أجتماعيتين

الاسرة : وهى أول جماعه أجتماعيه يعرفها الطفل

المجتمع المحلى : وهو فى الغالب الوحده الاجتماعيه الثانيه التى يتعرف عليها الطفل بعد الاسره والمجتمع المحلى هو أكبر جماعه من الاشخاص الذين يعيشون معا ويقوم تعاملهم على أساس الاتصال الشخصى أى وجها لوجه face to face relationوهكذا فان الاسره الزواجيه والمجتمع المحلى هما الوحدتان الاجتماعيتان الوحيدتان ذات الانتشار العالمى ولذلك فان المجتمعات شبه البدائيه يوجد بها الاسره الزواجيه وأشكال أخرى للاسره ويوجد بها أيضا المجتمع المحلى وتعتبر العشيرة أكثر صوره أنتشاراً واهميه فى المجتمعات البدائيه ، ويتكون النسق

القرابي من نظم القرابة والنسب أو الانحدار، والجماعات القرابية وهي العائلة والزواج علاوة على الجماعات العشائرية (البدنة والعشيرة والقبيلة) في المجتمعات القبلية أو العشائرية .

هناك عدة انواع للجماعات القرابية منها: (الأسرة – البدنة – العشيرة – القبيلة)

١- الأسرة :

الأسرة هي أصغر وحدة اجتماعية وهي الخلية الأساسية في المجتمع، كما تعتبر أهمّ جماعاته الأولية، والأسرة هي عبارة عن جماعة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية واخلاقية ودموية، وروحية، وتتكون العائلة في أبسط حالاتها من الاب والام واولادهما وهذه الروابط هي التي جعلت العائلة البشرية تتميز من العائلة الحيوانية ، وتعد الأسرة من اكثر المؤسسات الاجتماعية وضوحاً في المجتمع، من حيث إنها اقدم التشكيلات الاجتماعية في الحياة البشرية من

حيث عموميتها، ووجودها في مختلف المجتمعات البدائية، والقديمة، والمعاصرة، فهي موجودة في كل الازمان، وجميع المناطق الجغرافية التي عاش فيها الانسان.

و تعدّدت آراء العلماء في تعريف الأسرة، حيث عرّفها بعضهم بأنّها جماعة اجتماعية، والبعض الآخر عرّفها كنظامٍ اجتماعيّ.

عرف "ميردوك " الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك ، وتعاون إقتصادي ، ووظيفة تكاثرية .

ويعرف أوجبرن الأسرة: هي عبارة عن رابطةٍ اجتماعيةٍ صغيرةٍ، مكونةٍ من الزوج والزوجة والأطفال، أو من دون أطفال، أو قد تتكوّن من الزوج وحده مع أطفاله، أو الزوجة وحدها مع أطفالها ، وتساهم الأسرة في جميع جوانب النشاط الاجتماعيّ، مثل: الجوانب المادية، والاقتصادية، والعقائدية، وغيرها .

حاول ميردوك فى دراساته إجراء مقارنات بين الأسر وخلص من دراساته الى أن هناك ثلاثة أشكال هى الأكثر انتشارا من أنواع الأسر هي:

أ. **الأسرة النووية** : وهى عبارة عن جماعة صغيرة الحجم تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين . وينتمى الفرد عادة إلى أسرتين نوويتين ، الأسرة النووية التى تربى فيها (وتعرف باسم أسرة التوجيه) ، والثانية التى يقوم فيها بدور الأب (وهى أسرة التكاثر) ، والأسرة النووية هى الوحدة الأساسية للبنية الاجتماعية. وتقوم فيها رابطتان هما رابطة الأبوة ورابطة الأخوة .

خصائص الأسرة النووية

تعد الأسرة النووية ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها أى مجتمع فقد تبين من الدراسات الميدانية لميردوك الأسرة الزواجية أكثر

انتشارا من أى شكل أسرى آخر فى كل المجتمعات الإنسانية تقريبا .

تقوم الأسرة الزواجية بوظائف كثيرة (اقتصادية – تربويه – تكاثرية ... ، ومن الملاحظ انه تعتمد الأسرة النووية على نظام الزواج الاحادي .

يجمع أعضاء الاسرة النووية مسكن واحد مستقل وهو شرط اساس لاتمام الزواج فى اى مجتمع بشرى قد يكون هذا المسكن حجرة فى منزل العائلة او شقة مستقلة او كوخا ...الخ ، وقد اختلفت المجتمعات حول مسكن الأسرة النووية باختلاف النمط الثقافى للسكنى والاقامة للزوجان فى كل مجتمع.

الأسرة النووية كيان اجتماعى لا يستمر لفترات طويلة ، حيث تنهار الأسرة الصغيرة بوفاة الزوجين أو احدهما وزوال هذه الأسرة وتكوين الابناء اسرة نووية جديدة.

ب- الأسرة التعددية : شكل للأسرة يجمع بين عائلتين صغيرتين أو أكثر، وتنقسم تلك الأشكال الأسرية الى قسمين أساسين: الأسرة متعددة الزوجات التى يوجد فيها تعدد زوجات ، وهى تتكون الزوج وزوجتين أو أكثر ، وأطفالهم ، ثم الأسرة النووية التى يوجد فيها تعدد أزواج ، وهى تتكون من أنثى وزوجين أو اكثر ، واطفالهم ويطلق عليها الأسرة متعددة الأطراف (الزوجات أو الأزواج) .

٣ ٥

<u>خصائص الأسرة متعددة الزوجات</u>

تتكون من عدة أسر نووية تعيش معا فى وحدة اجتماعية ووحدة سكنية ويكون أساس ترابط تلك الاسرة هو وجود زوج مشترك بين أكثر من زوجة ويعرف ذلك الشكل (أسرة متعددة الزوجات) ،ويوجد فى معظم المجتمعات الى جانب الأسرة الزواجية ولقد لاحظ العلامة ميردوك أن ١٩٣ مجتمعا من ٢٣٨ مجتمع إنساني تجمع بين نظام الاسرة النووية ومتعددة الزوجات.(يتكون ذلك الشكل الأسرى من زوج واحد وأكثر من زوجة واحدة بالاضافة الى الاطفال ولابد أن يكون للزوج أكثر من زوجة واحدة فى نفس الوقت وليس فى أوقات متعاقبة فقد يتزوج الرجل زوجة ثانية بعد موته أو تطليق زوجته الأولى . عند ذلك توجد الأسرة النووية وليست المتعددة، فمثلا المجتمع العربى يعتبر مجتمع ذو أسر متعددة الزوجات رغم عدم انتشار تلك الاسر وإنما الشكل الأسرى السائد هو الأسرة الزوجية وإنما

المقصود بذلك أن معظم المجتمعات الإنسانية تبيح تواجد الأسرة متعددة الزوجات بإضافة الى الاسرة النووية .

يتولد عن طبيعة تركيب الأسرة المتعددة الزوجات خلافات ومشاجرات بين الزوجات بسبب الغيرة وتوزيع الاعمال ولا يوجد تلك المشكلات فى الاسرة الزواجية .وقد نجح المجتمع فى حل مثللا تلك المشكلات بصورة جزئية عن طريق العادات وتقاليد معينة ، فمثلا قد يشترط أن تعيش كل زوجة فى مسكن مستقل وفى حلالات أخرى يعطي المجتمع للزوجة الأولى مكانة اجتماعية مرتفعة وبالتالى يحترمها الزوجات الأخريات ويطعن أوامراها.

ج –الاسرة الممتدة

تتكون الاسره الممتده من عائلتين زواجيتين أو مركبتين أو أكثر ويشترط توافر رابطه القرابه الدمويه الاوليه بين بعض أعضاء تلك

الاسر ويعيش افراد الاسره الممتده فى وحده سكنيه واحده ويسود بينهم التعاون الاقتصادى ،ومن صورها أب وزوجته وأبناءه الذكور وعائلتهم وبناته وهكذا قد تتكون الاسره الممتده من عائلات متعدده الزوجات أو الازواج أو من عائلات زواجيه تابعه أو منها معا وهى أسرة تتكون من جيلين فأكثر حيث يعتبر الجيل الثانى إمتداد للجيل الأول "مكونة على الأقل من عائلتين صغيرتين أحدهما امتداد للأخرى[٣٦]، ويشترط توافر رابطة القرابة الدموية الأولية بين بعض أعضاء تلك الأسرة ويعيش أفراد الأسرة الممتدة فى وحدة معيشية واحدة ويسود بينهم التعاون الاقتصادى ، ومن صورها أب وزوجته وأبنائه الذكور وعائلتهم وبناتهم وهناك اصطلاحات[٧] أخرى تطلق على الأسرة الممتدة منها الأسرة المشتركة .

بينما تتكون الاسره الممتده من ثلاثه أجيالاو أكثر لايوجد فالشكليين الاخرين سوى جيلين ،وبينما تستمر الاسره الممتده فى الوجود دائما على اساس ان الاباء يعيشون مع اطفالهم الذين

يكبرون ويتزوجون ،فان الشكلين الاخرين لايستمروان طويلا أذ يختفيان بموت الاب وزوجته او زوجاته

أن الاسره الممتده هى الشكل الاسرى الوحيد الذى يتمتع بصفه الاستمرار فى التواجد شانه فى ذلك شان الجماعات القرابيه والمجتمع المحلى

خصائص الأسرة الممتدة

تتكون الأسرة الممتدة من أسرتين نوويتن ويشترط توافر رابطة القرابه الدموية الأولية بين أعضاء تلك الأسرة .

قد تكبر الأسرة الممتدة ويصبح عدد أفرادها عدداً كبيرا، فقد تجمع فى نطاقها عدداً أكبر من الأجيال وتستمر دائما على أساس أن الآباء يعيشون مع أطفالهم الذين يكبرون ويتزوجون.

إن الأسرة الممتدة هى الشكل الأسرى الوحيد الذى يتمتع بصفة الاستمرار فى التواجد شأنه فى ذلك شأن الجماعات القرابية والمجتمع المحلى ، ولا شك أن صفة الاستمرار هذه ليست مطلقة

وإنما مشروطة بعدة شروط منها استمرار عملية التناسل ، ومنها ايضا ضرورة السكنى فى وحدة سكنية مشتركة فإذا تفرق الأبناء بحكم العمل او لاية ظروف أخرى فان ذلك يعنى انهيار الأسرة الممتدة.

تلعب قاعده السكنى التى تحدد المكان الذى يعيش فيه الفتى مع عروسه بعد الزواج

وتركيب الاسره الممتده،ونظرا لتعدد القواعد فقد تفرعت الاسره الممتده الى اشكال متعدده وجميع قواعدالسكنى تساعد على تكوين الاسره الممتده اللهم الا قاعده واحده وهى قاعده عدم التقيد بمكان معين التى لاتؤدى الى تكوين الاسره الممتده لانها لاتعمل على تجميع عده عائلات فى وحده سكنيه واحده وانما بالعكس تعمل على تفريق العائلات الزواجيه أو متعدده الاطراف وبالتالى عدم اندماجها فى أسره ممتده

وتبعا لقواعد السكنى تنقسم الاسره الممتده الى عده أشكال فرعيه فنجد الاسره الممتده ذات السكنى مع والد الزوج وهى تجمع

الاسـر التـى يكونهـا أبنـاء الاب ، فتشـمل الاب وزوجتـه وابتائـه وعائلاتهم واحفاده وعائلاتهم وهكذا، ويطبق فى تلك الاسر نظام السكنى مع اسره والد الزوج وهكذا عندما يتزوج احد ابناء تلك الاسره عليه ان يحضر زوجته ويعيش مع اسره والده

تكون الأسرة الممتدة وحدة اقتصادية متعاونة ويكون مؤسس الأسرة الممتدة هو رئيس ومنظم تلك الوحدة الاقتصادية وكثيراً ما يتمتع ذلك الأب بسلطة واسعة على أبنائه وعائلاتهم ويكون الأب رئيس تلك الأسرة ويقوم بإدارة كل أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية مثل زراعة الحقول وتوزيع العمل وبالنسبة لأعضاء الأسرة الذين يعملون فأنهم يأتون بما يكسبون الى رئيس العائلة الذى يقوم ياستثمارة فى صالح العائلة كلها وطالما كان رئيس الأسرة حيا فإن الأبناء لا يستطيعون تكوين ثروات شخصية منعزلة عن الأسرة وعندما يموت الأب يرث الأبن الأكبر مركز والدة فى القيادى

الأسرة وان كان بصورة محدودة حيث لا يعطى الأخوه ما يكسبونه الى الأخ الأكبر الا بمحض إرادتهم ، وعندما يموت ألخ الأكبر يرثه فى المركز أكبر أخواته سنا وفى الغالب تكون الأسرة الممتدة قد كبر حجمها بحيث أصبحت مواردها لاتكفى أعضائها وتبدأ فى الانقسام الى عدة فروع.

وهى تختلف عن الاسرة النووية ، فهى بالاضافة الى انها تقوم بوظائف اكثر، وهي كذلك النمط الشائع قديما في المجتمع ولكنها تنتشر في المجتمع الريفي ، بسبب انهيار أهميتها في المجتمعات الصناعية الحضرية نتيجة تحوله من الزراعة إلى الصناعة، وتتنوع إلى أسرة ممتدة بسيطة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، وأسرة ممتدة مركبة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم والأحفاد والأصهار والأعمام، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة فقد تختلف من حيث وضع السلطة مثلا ونتيجة لامتداد العلاقات الاجتماعية ، فإن البناء القرابى يزداد حجما ويتسع نطاقا لوجود

أطراف أخرى تعيش فى نفس النطاق كالجد والجدة او العم والعمة مثلا وتتكون الاسرة التقليدية فى واقع الامر من ثلاثة أجيال أو أكثر .

تتسم الأسرة الممتدة بمراقبة أنماط سلوك أفراد الأسرة والتزامهم بالقيم الثقافية بالمجتمع، وتعد وحدة اقتصادية متعاونة يرأسها مؤسس الأسرة، ويكتسب أفرادها الشعور بالأمن بسبب زيادة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

٢-البدنة

مجموعة من الأسر ترتبط بعضها ببعض ، من خلال سلف مشترك أبعد من الأب ، وليست الإقامة المشتركة شرطا ضروريا . وتعرف عموماً بأنها مجموعة من الأشخاص ترجع انتسابها إلى جد مشترك معروف وتكون البدنة ابوية إذا كان الانتساب الى الجد فى خط الذكور فقط . وتكون البدنة أمومية إذا كان الإنتساب فى

خط الإناث فقط ، كما يشارك أعضاء البدنة فى حقوق والتزامات معينة تجاه بعضهم البعض [٣] [٨] .

٣-العشيرة :

وحدة اجتماعية مكونة من مجموعة من الافراد ينحدرون من نسب واحد، وتتميز بتسلسل قرابى معين ، يتفق مع نظام سكنى خاص يعتقد أفراد العشيرة الواحدة فى وجود جد مشترك قام بتأسيس العشيرة وأحيانا يكون ذلك الجد شخصية خرافية.

اختلفت الانثروبولوجيين فى تعريف العشيره واعتقد ان احدث تلك التعاريف واكثرها أنتشارا تعريف العلامه (ميردوك) ويتلخص هذا التعريف فى ان العشيره جماعه تتميز بقيامها على اساس تسلسل قرابى واحد انا من جانب الاب أى ابوى أو من جانب الام أى اموى وتتميز ايضا بتوافر وحده مكانيه لافراد العشيره أى أن يعيبش افرادها فى

مكـــان واحـــد ،ولـــذلك لابـــد ان تكـــون القاعـــده الســـكنيه التـــى تتبعهـــا العشـــيره متوافقـــه مـــع قاعـــده التسلســـل القرابـــى وهنـــاك ايضـــا شـــرط ثالـــث للعشـــيره يتمثـــل فـــى وجـــود تماســـكاجتماعى قـــوى بـــين افـــراد العشـــيره وتظهـــر تلـــك العناصـــر الثلاثـــه بصـــوره أوضح فى عرض الخواص الاخرى للعشيره

وتصـنف العشـيرة وفقـاً لنظـام القرابـة والنسـب إلـى نـوعين همـا: العشـيرة الابويـة وتتكـون مـن كـل الافـراد المنحـدرين عـن طريـق الذكور من جد ذكر معين.

والعشـيرة الأموميـة وتتكـون مـن كـل الافـراد المنحـدرين عـن طريـق الانـاث مـن جـدة أنثـى معينـة نسـبة لـلأم عـن طريـق قاعـدة السـكنى مـع أم الزوجـة ، وهـى تشـمل كـل الإنـاث والـذكور غيـر المتـزوجين وأزواج الإنـاث المتزوجـات وعنـدما

يتـزوج الـذكور فـإنهم يتركـون عشـيرة والـدتهم وينضـمون إلـى عشائر زوجاتهم .

والعشـيرة فـي أغلـب الشـعوب البدائيـة (خارجيـة الـزواج)، وقـد تقطـن اقليمـاً واحـداً أو عـدة اقـاليم، وتتميـز العشـيرة بضـخامة العـدد خـلاف الأسـر النوويـة أو المشـتركة ، كمـا أن اعضـاء العشـائر ليسـوا مضـطرين إلـى الحيـاة داخـل نفـس الوحـدة السـكنية أو حتـى داخـل وحـدات سـكنية متجـاورة، كمـا هـو الحـال فـى الأسـر النوويـة أو المشـتركة. وتنقسـم العشـيرة فـى العـادة الـى اقسـام فرعيـة فـى الوقـت الـذى تنـدرج فيـه ضـمن وحـدة قرابيـة أكبـر منهـا . ويطلـق علـى أقسـام العشيرة اسم البدنات (الأبوية أو الأمومية) [٩]

***وظائف العشيرة:**

وتقوم العشيرة بعدة وظائف تظهر أهميتها للفرد والجماعة والمجتمع المحلي، أهمها الاتي:

- التضامن الاجتماعي العشيرة وحدة اجتماعية يسودها التماسك والتضامن الاجتماعي فيسارع جميع افراد العشيرة إلى مساعدة الفرد الذي يحتاج إلى العون، والذي من أهم انواعه حماية حياة الفرد من أي اعتداء وأخذ الثأر له إذا اعتدي عليه، ويترتب على هذا التضامن شعور افراد العشيرة بالامن والاستقرار والمسؤولية الجماعية.
- الأمن الداخلي والخارجي، تقوم العشيرة بعملية الضبط الاجتماعي وتوفير الأمن الداخلي لأعضائها، ويتولى ذلك رئيس العشيرة وأعوانه بتطبيق قانون العشيرة الذي يتمثل بمجموعة من التقاليد والأعراف،ويشرف الرئيس على تنفيذ العقاب على من يخالف تلك التقاليد والأعراف .

- تنظيم الزواج ، تقوم العشيرة بتنظيم (الزواج الخارجي) وتحريمها (الزواج الداخلي) ويلعب الزواج الخارجي دوراً هاماً في توفير علاقات الود والتعاون والأمن بين العشائر التي يجمع الزواج بين بعض افرادها.
- تنظيم النشاط الاقتصادي، تملك العشيرة الأرض التي تعيش عليها ملكية جماعية، ويتولى رئيس العشيرة تقسيم هذه الأرض على عائلات عشيرته وتوزيع الاعمال بينها، ويحق لكل اعضاء العشيرة استغلال ارضها [بالسكن والزراعة والرعي والصيد ومصادر المياه وجمع الحطب] .
- إجراء الطقوس الدينية، في حالة تجمع عشائر القبيلة الواحدة تقوم كل عشيرة بطقوس دينية معينة في الاحتفالات العامة والخاصة بالقبيلة.
- تنظيم النشاط السياسي، للقبيلة مجلس قبلي يضم رؤساء عشائرها ويتولى المجلس تنظيم النشاط السياسي لتلك

العشائر، مثل عمليات اختيار أو انتخاب رؤساء العشائر واعلان الحرب وإنهائها وتنظيم شؤون الدفاع [وفض النزاعات عن طريق التحكيم ودفع التعويضات .

القبيلة [1]

القبيلة هي أكبر الوحدات القرابية ، وتتكون القبيله من عده عشائر أكبر الاشكال المورفولوجيه للمجتمعات البدائيه وتتكون من مجموعة من العشائر التي ترتبط بوحدة النسب وتنتشر فى المجتمعات شبه البدائية بصورة شبه شاملة ، فنقول مثلا قبيلة الاشانتى وقبيله ماساى وقبيله البجه...وهكذا

[1] انظر عاطف وصفى : الانثروبولوجيا الثقافيه ، ،دار النهضه العربيه .

فالقبيلة وحده أجتماعيه تجمع عدة معاشر أو عشائر أو مجتمعات محليه أخرى ، وتنتشر فى المجتمعات شبه البدائيه بصوره شبه شامله وفيما يلى تحديد

أهم سماتها:

يشغل افراد المجتمعات المحليه التى تتكون منها القبيله قطعه ارض مشتركه ويترتب على ذلك سهوله التفاعل الاجتماعى بين أعضاء القبيله الواحده لاشتراكهم فى المكان واللغه والحضاره .ولذلك يشعرون بأنتمائهم جميعا الى مجتمع واحد تسود بينهم مظاهر التعاون والود والتماسك الاجتماعى ويتضح هذا التماسك فى المناسبات الدينيه حيث تقام طقوس قبائليه يشترك فيها

تتميز القبيله بمكان محدد وبلغه واحده وبحضاره واحد هو يلاحظ أن كل عنصر من تلك العناصر الثلاثه لايكون وحده القبيله وانما لابد من توافر تلك العناصر معا وتنتشر تلك الوحده الاجتماعيه أو الشكل البنائى فى المجتمعات شبه البدائيه ،ولذلك نلاحظ

انتشار عاده أستخدتمه عند الاشارة الى أى مجتمع بدائى فنقول قبيله

وقد تتواجد العشائر في أقاليم متجاورة أو قد يقطن بعضها في اقاليم بعيدة نسبياً، إن القبيلة وحدة اجتماعية متماسكة ، تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي، وفي بعض الاحيان تنشطر القبيلة إلى أقسام مختلفة، لاسيما إذا كانت البقعة الجغرافية التي تعيش عليها واسعة بالنسبة لعدد السكان، توجد تنظيمات رسمية فى القبيلة تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعى وبالتالى تحافظ على كيانها واستمرار وجودها ، أهم تلك التنظيمات التنظيم السياسى ، يمثل القبيلة رئيس يحظى باحترام الجميع ويشاركة فى رعاية شئون القبيلة مجلس يسمى (مجلس القبيلة) ويتكون فى الغالب من رؤساء العشائر .

أن القبيلة تقوم بوظيفتين أساسيتين الأولى تتعلق بالتنظيم السياسي للأقسام الفرعية بحيث تظهر كوحدة اجتماعية،

توجد تنظيمات رسميه فى القبيله تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعى وبالتالى تحافظ على كيانها واستمرا وجودها أهم تلك التنظيمات التنظيم السياسى ،يمثل القبيله رئيس يحظى بأحترام الجميع، ويشاركه فى رعايه شئو ن القبيله مجلس يسمى (مجلس القبيله) ويتكون فى الغالب من رؤساء العشائر أذا كانت القبيله تتكون من عشائر أو من رؤساء المعاشر أذا كانت القبيله بدون عشائر ويتعلم اعضاء القبيله منذ صغرهم ومن خلال تجوالهم فى أنحاء القبيله التنظيمات الرسميه مثل كيفيه الاشتراك فى مجلس القبيله وكذلك انماط السلوك غير الرسمى مثل كيفيه التعرف على زملائه فى القبيله وماذا يتوقع منهم فى الظروف المختلفه ومتى يقدم لهم العون وكرم الضيافه ،وهكذا تستمر القبيله من جيل الى جيل حيث يعلم الجيل القديم الجيل الجديد تقاليد القبيله

كما تقوم القبيلة ايضا بتنظيم شئون الدفاع والحرب ففى حاله الخطر يظهر بوضوح تماسك القبيله كوحده أجتماعيه وتظهر

أهميتها وفائدتها ،وتيرتب على قوه الشعور الجماعى بوحده القبيله أن يسرع كل أعضاء القبيله للدفاع فى حاله تعرض أى جزء من القبيله للغزو وكان هذا الغزو قد شملهم جميعا .ونلاحظ فرقا كبيراً بين معامله أعضاء القبيله

الفصل السادس

الانثروبولوجيا ودراسة الثقافة

مفهوم الثقافة

الثقافة من الناحية الاصطلاحية من أوسع الدراسات التي ركز عليه الباحثون الأنثروبولوجيون وغيرهم من الدارسين. ومن أشهر من بحث مفهوم الثقافة من الناحية الأنثروبولوجية هما الباحثان الامريكيان (الفريد كرويبر A. Krober – كلايد كلوكهون C. Kluckhohn) تمكنا هذا الباحثان من استعراض أكثر من ١٦٠ تعريفاً للثقافة وتوصلا إلى أن الثقافة ذات مضمون تاريخي (Historical Meaning). أي أنها تراكماً لعديد من الأنماط والمركبات الثقافية التي تراكمت عبر التاريخ طويل، وهي بالتالي تشتمل على ما يلي :

١- الأنماط السلوكية والأفكار والقيم.

٢- لها صفة الأختيار والانتقاء (يختار الثقافة ويطورها، الحيوان يرث سلوكه تلقائياً).

٣- و مكتسبة ومتعلمة.

٤- هي تجريد للسلوك الأنساني، وإن لم تكن هي السلوك نفسه، بل هي نتيجة لهذا السلوك .

ونظراً للأعداد الكبيرة من التعريفات لمفهوم الثقافة، نستعرض أشهرها:

تعنى الثقافة كل ما هو موجود فى المجتمع الإنساني، ويتم توارثه اجتماعياً وليس بيولوجيا، بينما يميل الاستخدام الشائع للثقافة إلى الإشارة إلى الفنون والآداب فقط ، فالثقافة إذن مصطلح عام يدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة فى المجتمع الإنساني . فهى كل ما يقوم به [٢] المرء من أعمال وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار وكل ما تراكم لدى الانسان من عادات وأعراف وتقاليد وعلوم ومعارف وقوانين.

تعريف أدوارد تايلور في كتابه "الثقافة

بأنها: وتعتمد أفكار الأنثروبولوجيا عن الثقافة اعتماداً كبيراً على التعريف الذي قدمه إدوارد تايلور عام ١٨٧١ ، الذي يشير فيه إلى الكيان المركب والذي ينتقل اجتماعياً ويتكون من المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والقدرات والعادات التي يكتسبها الفرد كونه عضواً في المجتمع [٣] [٤]

وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، منها: الفنون، والموسيقى التي تشتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد السائدة، والقيم، وغيرها .

الثقافة تتضمن في معظم تعريفاتها التطبيقية أنماط وأساليب الحياة العامة في أي زمان أو مكان تتضمن بصفة خاصة الأنماط السلوكية لكل مجموعة من المجموعات البشرية المتشابكة والمتداخلة قلّ عددها أو أكثر وأن الثقافة ما هي إلا تجريد مستمد من السلوك الأنساني الملاحظ حسياً برغم أنها هي ليست نفس هذا السلوك.

تعتبر الثقافة أسلوب حياة بالنسبة للفرد في مختلف المجتمعات، ولها أهمية مهمة في العلوم الاجتماعية حيث إن الإنسان لا يستطيع العيش في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا استطاع أن يفهم الأنماط الثقافية لهذا المجتمع ويتعايش معها ويصبح وكأنه فرد من هذا المجتمع.

يدرس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد ليستنتج منها أنماط الثقافة، وهو بذلك يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معينة وليس بصفتهم الفردية أو الشخصية والنظم الثقافية تختلف في مدى شموليتها فهناك نظم شاملة تطبق على الجميع. وهذا ما يمكن أن يسمى بالشمول الكلي. وهناك نظم تطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى. وهذا ما يمكن أنسميه بالشمول الجزئي أو الخاص.

وتعنى الثقافة كل ما هو موجود فى المجتمع الإنساني، ويتم توارثه اجتماعياً وليس بيولوجيا، بينما يميل الاستخدام الشائع للثقافة إلى الإشارة إلى الفنون والآداب فقط ، فالثقافة إذن مصطلح عام يدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة فى المجتمع الإنساني . فهى كل ما يقوم به المرء من أعمال وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار وكل ما تراكم لدى الانسان من عادات وأعراف وتقاليد وعلوم ومعارف وقوانين . [٤]

ويعرف رادكليف براون الثقافة بأنها عملية نقل الأساليب المكتسبة للتفكير والمشاعر وأساليب التصرف في إطار جماعه اجتماعيه، من شخص لآخر ومن جيل لآخر ، وهو ما يؤكد على كون الثقافة شبكة مركبة من الأنماط والسلوكيات التي تكتسب بالتعلم . ويعد المفهوم الأنثروبولوجى للثقافة هو الأكثر شمولاً ويعرف الثقافة على أنها حصيلة كل النشاط البشرى الاجتماعي في مجتمع معين ، ويستتبع هذا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة بصرف النظر عن تقدم ذلك المجتمع أو تأخره حيث إن لكل ثقافة نسقها الخاص من القيم والمعايير . [٤] [٧]

ثانيا : عناصر الثقافة

حاول بعض العلماء تحليل الثقافة إلى عناصر ومضامين بنائية ، وكان أول تصنيف عناصر الثقافة إلى عنصرين متمايزين الثقافة المادية والثقافة اللامادية، ويرجع التمييز بين الجانبين المادي واللامادي للثقافة إلى الأهمية الوظيفية لكل منهما في المجتمع .

١ – الثقافة المادية

تعتبر الماديات إحدى الجوانب الهامة من مكونات الثقافة، وتتكون هذه الماديات من سائر الأشياء المادية التي يملكها ويستخدمها أفراد مجتمع ما، وتشمل هذه الجوانب المادية على سبيل المثال لا الحصر المساكن والآلات والملابس ووسائل المواصلات ، السيارات، القطارات، الآلات، الأدوية.... وغيرها من الأدوات وتنتج هذه المجموعة الكبيرة كما يقول سروكين من التفاعل الثقافي . ولا شك أن هذه الماديات جميعها من نتاج الإنسان ، ويمكن أن تعتمد دراسة الثقافة اللامادية في جانب كبير منها على معرفتنا للثقافة المادية ، فمن اليسير أن نتعلم الكثير عن أساليب حياة الناس من خلال تحليل ثقافتهم المادية

٢ – الثقافة اللامادية

تعتبر اللامادية من أهم مكونات الثقافة بل والجزء الأساسي منها ، وتؤكد الدراسات الأنثروبولوجية على أهمية المتغيرات الثقافية التي تمارس تأثيرها على شخصية الأفراد ، ومنها (اللغة، وهي أداة الثقافة ،الفنون والآداب والعلوم وسائر أنواع المعارف التي ينتجها الإنسان، الاتجاهات، العادات– التقاليد، المعايير الاجتماعية، القيم الاجتماعية الدين، المعتقدات الشعبية).

والنظرة الشاملة للثقافة تقتضي منا ألا نفهم أن هذه العناصر، مادية وغير مادية، تعيش بمعزل عن بعضها. فعناصر الثقافة هي عناصر متفاعلة ومتشابكة. فالثقافة كل واحد مركب.

والانثروبولوجي يتخذ من عناصر الثقافة مجالاً لاهتمامه، ويقوم بملاحظة اشكال السلوك، وتحليل مضمون ذلك السلوك، وربطه بغيره من عناصر الثقافة، وغير ذلك من الموضوعات التي يهتم بها الانثروبولوجي ، كدراسات التغير الثقافي، والاتصال الثقافي، كما ظهرت أهمية البعد الثقافي وفهمه عند تناول مشكلات المجتمعات، فمعظمها مشكلات ثقافية في المقام الاول .

- كذلك إن محتوى الثقافة في أي مجتمع متجانس يكاد ينقسم إلي ثلاثة أقسام رئيسية حسب رأي لنتون حيث يمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها الى ثلاثة أنواع وهى تبعا للفرد والجماعة والمجتمع وهى (العموميات –الخصوصيات – المتغيرات)

أ- عموميات ثقافية

مجموعة السمات الثقافية العامة السائدة فى المجتمع ككل ، مثل وحدة المشاعر والتقاليد ، والشعائر والمعتقدات الدينية واللغة والملبس والعادات والتقاليد والقيم ، وتعتبر الأسس الجوهرية فى تكوين المجتمع الذى يتمسك بها ويحرص عليها ، ومن ثم تكون عاملاً من عوامل التجانس والتكامل والتماسك الاجتماعى [٤]

وتمثل الملامح العامة التي تتميز بها الشخصية القومية لكل مجتمع مثل فهي العناصر الثقافية التي يشترك فيها عموماً أبناء المجتمع مثل " الدين ومصطلحات اللغة العادات و التقاليد و الأفكار وأنماط السلوك و الزي والتحية القيم و العلوم، وكذلك المنتجات الصناعية والمادية الشائع استعمالها في المجتمع ومثال ذلك (السكن وطريقة الملبس وطريقة الزواج) .

أهمية العموميات الثقافية وظائفها

- **تحقيق وحدة التكامل بين أفراد المجتمع .**
- **إيجاد الميول و الاهتمامات المشتركة بينهم**
- **تكوين الطابع القومي لأبناء المجتمع الذي يميزهم عن المجتمعات الأخرى.**
- **تدعيم الكيان الاجتماعي والمساعدة في تماسكه.**

ب- **الخصوصيات الثقافية: وهي عناصر الثقافة التي يشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع بمعنى أنها العناصر التي تحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم في المجتمع فهي العادات والتقاليد والأدوار المختلفة ، وهي كذلك العناصر الثقافية التي تستلزم لممارستها خبرات ومهارات فنية ومصطلحات سلوكية خاصة دون اعتبار لأصحاب هذه المهارات من الأفراد فهي ليست وقفا على أحد مثل (الزي مهنة الطب والمحاماة والقضاء ولغة الصيادين)، أي أن الخصوصية تفرضها طبيعة المهنة، وتتميز هذه الخصوصية بان تسمح لأفراد المجتمع دخولها أي ليست حكرا على فرد دون غيره**

عكس الخصوصية الطبقية التي تحكمها هذه الخصوصيات وليست الصفة المهنية ، ويجب ألا ننسى أن الخصوصيات لا تنفى اشتراك أفراد الطبقة أو المهنة عن كل أفراد المجتمع في العموميات .

ج- البدائل أو المتغيرات:

وهي من العناصر الثقافية التي تنتمي إلي العموميات فلا تكون مشتركة بين جميع الأفراد ولا تنتمي إلي الخصوصيات فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحدة أو طبقة اجتماعية واحدة ولكنها عناصر تظهر حديثة وتجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع وبذلك يمكن الاختيار من بينها :

مثال ذلك ظهور موضة جديدة في الملبس لم تكن معروفة من قبل أو ظهور طريقة لإعداد الطعام ولم يعرفه الناس من قبل ، وهي أكثر جوانب الثقافة عرضة للتغيير فقد تزول إذا لم يقبلها المجتمع وقد تنتقل إلى الخصوصيات أو إلى العموميات بحسب أهميتها في تحقيق وظائف هامة للمجتمع، أي أنها لا ترتبط بثقافة معينة وتنتقل إلى ثقافة أخرى عن طريق التفاعل أو الغزو أو وسائل الإعلام، ولا يعني كثرة المتغيرات والبدائل الثقافية في المجتمع دليلا على انفتاح هذا المجتمع على الثقافات الأخرى فقد تكون ثقافة المجتمع

ضعيفة إلى حد أنها لا تستطيع مقاومة الغزو الثقافي، وكذلك العكس قلة البدائل ليست دليلا على قوة ثقافة المجتمع فقد يكون مجتمعا مغلقا

ثالثا :السمات العامة للثقافة.

وتتسم الثقافة بمجموعه من الخصائص بحسب مفهومها وطبيعتها ، فإذا كانت الثقافة هي البيئة التي صنعها الإنسان بما فيها المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى آخر فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز، والذي يتكون فى مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم ، وقوانين وعادات وغير ذلك فهي عملية متجددة دائما لا تنتهي أبدا . ومن أبرز خصائص الثقافة أنّها:

١. الثقافه ظاهره انسانيه :- بمعنى ان الانسان وحده هو الذى ينفرد بخاصيه الثقافه والتفرد بهذه الظاهره وصنعها والحفاظ عليها فالانسان يتعلم قدرا من السلوك يفوق بكثير القدر الذى يتعلمه اى كائن اخر كما ان الكائنات الاخرى فى تعلمها تعتمد على السلوك الفطرى او الغريزى الموروث دون تغير يذكر وتبدو أفعالها كانعاكسات شرطيه محدده يصعب تجاوزها كما يكون تطورها

بيولوجيا فى المقام الاول وليس ثقافيا أو اجتماعيا ومن ثم فهذة الكائنات مزوده ببعض اساليب السلوك التى تحافظ من خلالها على بقائها واستمراريتها ولكنها لا تطور هذة الاساليب بنفس الدرجه التى يتطور بها الانسان او يطور بهها اساليب حياته فالانسان مزود بالكثير من الملكات الى طور من خلالها الكثير من ملامح البيئه المحيطه لكى تصبح مهيأه للحياه فنجده قد طور المسكن والملبس وأخترع الكثير من الوسائل التى ا ستخدمها فى حياته اليوميه كما ابتدع اللغه بمدلولاتها ورموزها وحروفها وقواعدها

ويعيش الانسان فى جماعات تتميز بقدر من التنظيم كما يشترك أفراد الجماعه الواحده فى ممارسه عدد من انماط السلوك أو اساليب السلوك المتميزه التى تكون ثقافتهم الخاصه والتى تتميز عن غيرها من الثقافات وبذلك يمكن القول بان كل مجتمع انسانى له ثقافته التى تميزه، مادامت الثقافه هى ابداع أنسانى لجماعه ما من الجماعات ومحصله للتفاعل بين الانسان والبيئه طور الانسان خلالها الكثير من انماط السلوك، وبذلك فالثقافه ظاهره أنسانيه يتميز بها الانسان دون غيره من سائر المخلوقات .

٣- الثقافه تكتسب بالتعليم : فالانسان يتعلم قدراً من سلوكه يفوق بكثير ذلك القدر الذى يتعلمه أى كائن أخر فمنذ ولادته يبدا المجتمع الذى ولد فيه او يعيش فيه يبدا فى إكسابه كثير من السمات الثقافيه، وذلك من خلال التنشئه المختلفه ، وهى الاسره والمدرسه والمجتمع . وجدير بالذكر أن عمليات التعلم لا تتم بشكل منظم أو من خلال عمليات التلقين المنظم والمعلن كتلك التى تحدث فى قاعات الدرس، ولكنها تتم من خلال مواقف الحياه اليوميه المتكرره، والتى يؤدى فيها افراد الجماعه من الراشدين بعض انماط السلوك المفضل والذى تقره الجماعه وتفضله ، ثم يتعلمه او يقلده افراد الجماعه الاقل سنا ، وتصبح قبول هذة الانماط السلوكيه واداؤها فى المواقف المختلفه بمثابه أزعام من قبل الاشخاص لمعايير الجماعه والانخراط فيها ، ومن ثم ينتقل خلال هذا الشكل من التعليم الكثير من قواعد السلوك ، والمعايير التى تحافظ على تماسك الجماعه والتى تتوسم الجماعه فى ابنائها أن يتمسكوا بها ويتعاملوا بها داخل هذة الجماعه وكثيراً ما تكون هذة المعايير السلوكيه قد أنتقلت الى الاجيال من خلال ذلك الشكل من التعلم

٢. اجتماعيــة: بمــا أنّ الثقافــة هــي نتــاج اجتمــاعي أبدعتــه جماعــة معيّنــة، فــإنّ دراســة الثقافــة لا تــتمّ إلاّ مــن خــلال الجماعــات (المجتمعــات)، وذلــك لأنّ هــذه الثقافــة تمثّــل عــادات المجتمعــات وقــيمهم، وليســت عــادات الأفــراد كــأفراد ، لا تطبّــق إلاّ علــى جماعــة معيّنــة داخــل المجتمــع الواحــد، ولا تطبّــق علــى الجماعــات الأخــرى. وهــذا مــا يــدخل فــي الثقافــات الفرعيــة . وإن كانــت الــنظم الثقافيــة تختلــف فــي مــدى شــموليتها الاجتماعيــة. فهنــاك نظــم تطبّــق علــى أفراد المجتمع جميعهم، وفي المقابل هناك نظم كثيرة.

٤- تتضمن الثقافه نمطاً مثاليا للسلوك ونمطاً واقعياً:-

يســتخدم مفهــوم الــنمط للاشــاره الــى اســلوب معــين مــن اســاليب الســلوك الــذى يمثــل جــزءاً مــن ثقافــه معينــه ولــو أمعنــا النظــر فســوف يتضــح لنــا على الفور أن الانماط الثقافيه تنقسم الى نمطين:

- النمط الواقعى ، أى ما يفعله الافراد بالفعل فى المواقف المختلفه .
- الــنمط المثــالى وهــو مــا ينطــوى علــى تصــورات مثاليــه للســلوك الــذى يجب ان يتبــع فــى ثقافــه مــا. وينكشــف الــنمط المثــالى فــى اقــوال الافــراد ويدركــه الباحــث الانثروبولــوجى عنــدما يســال عــن انمــاط الســلوك

المتبع فى موقف ما أذ يحرص ابناء الثقافه على تقديم ذلك النمط المثالى الذى قد لايكون متيعا فى الواقع ولكنه يؤدى دورا هاما فى عمليات ضبط السلوك باعتباره معياراايمكن القياس على اساسه أو يحمله الافراد فى مخيلتهم عن مجموعه الانماط السلوكيه المثاليه وجدير بالذكر أن كافه الثقافات على اختلافها وتنوعها تعرف هذة الانماط المعياريه للسلوك وكلما اتسعت الفجوه بين النمط المثالى والواقعى كلما تعرض الافراد للقلق والعكس هو الصحيح ، فهناك بعض الثقافات التى يصعب فيها التزام الافراد بهذة الانماط المثاليه لليلوك عندئذتبدع الثقافه أو تبتكر بدائل اخرى للسلوك اقل صعوبه فى تنفيذها وتؤدى نفس الغرض اما فى الحالات التى يقترب فيها النمط المثالى من النمط الواقعى فإن ذلك يعنى درجه اعلى من الاتساق بين ما يجب ان يكون وبين ماهو كائن بالفعل.

٥- الثقافة تراكمية: تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلي آخر فبعض عناصر الثقافة

فـي أي مجتمـع تعبـر عـن خلاصـة التجـارب والخبـرات التـي عاشـها الأفراد في الماضي.

٦- الثقافيـة تكامليـة متطـورة : علـى الـرغم مـن أنّ لكـلّ جماعـة بشـرية معيّنـة ثقافـة خاصـة بهـا، إلاّ أنّ هـذه الثقافـة ليسـت جامـدة، بـل هـي متطـوّرة مـع تطـوّر المجتمـع مـن حـال إلـى حـال أفضـل وأرقـى. وهـذا التطـوّر لا يعنـى أنّ كـلّ مرحلـة ثقافيـة منعزلـة عـن الأخـرى، بـل ثمّـة تكامـل ثقـافي فـي ثقافـة المجتمـع الواحـد. وذلـك لأنّ الثقافـة بتكاملهـا، تشـبع حاجـات الإنسـان الماديـة والمعنويـة، وهـي تجمـع بـين المسـائل المتّصـلة بـالروح والفكـر، وبـين المسـائل المتّصـلة بحاجـات الجسـد. أي أنّهـا تحقّـق التكامـل بـين الحاجـات البيولوجيـة والنفسـية والاجتماعية والفكرية والبيئية.

٧- اسـتمرارية / انتقاليـة : بمـا أنّ الثقافـة تنبـع مـن وجـود الجماعـة ورضـاهم عنهـا، وتمسّـكهم بهـا، فهـي بـذلك ليسـت ملكـاً لفـرد معـيّن، ولا تنحصـر فـي مرحلـة محـدّدة .. لـذا لا تمـوت الثقافـة بمـوت الفـرد، لأنّها ملك جماعي وتراث يرثه أفراد المجتمع جميعهم .

٨- الثقافـة نسـبية : (بـواس "Boas") أول مـن فكـر بالنسـبية الثقافيـة كـل ثقافـة لهـا "أسـلوب" خـاص يتضـح مـن خـلال اللغـة والمعتقـدات

والأعـراف والفـن أيضـاً وغيـر ذلـك. وهـذا الأسـلوب هـو "روح" يخـص كـل ثقافـة ويـؤثر علـى سـلوك الأفـراد ، ولا يمكـن أن تكـون عالميـة ومطلقـة أبديـة وأنهـا مسـتقلة فـى مجتمعهـا حسـب الظـروف والبيئـة وجغرافيـة المكـان ، وبالتـالي لا يجـوز أن نسـتخدم تعبيـر التخلـف الثقـافي لوصـف ثقافـة مجتمـع مـا لأن مرجعيـة التخلـف والتقـدم فـى هـذه الحالـة سـتكون نسـبة إلـى ثقافـة مجتمـع آخـر فـى ظـروف أخـرى

٢ ٥ .

خلاصة هذه الخصائص ما يلى :

- إنها إنسانية أي خاصة بالإنسان فقط فهي من صنع الإنسان .
- مشبعة لحاجات الإنسان .
- إنهـا مكتسـبة يكتسـبها الإنسـان بطـرق مقصـودة أو غيـر مقصـودة عن طريق التعلم والتفاعل مع الأفراد الذين يعيشون معهم .
- إنهـا قابلـة للانتقـال والانتشـار مـن خـلال اللغـة والتعلـيم ووسـائل الاتصـال الحديثـة وتنتقـل مـن جيـل إلـي جيـل وفـي المجتمـع الواحـد من فرد إلي فرد .
- تطورية أي أنها تتطور نحو الأحسن والأفضل .

- **الثقافة متغيرة فهي في نمو مستمر وتغير دائم فأي تغير في عنصر من عناصرها يؤثر علي غيره من العناصر .**
- **أنها تكاملية تشبع الحاجات الإنسانية وتريح النفس الإنسانية لأنها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية .**

- **من المراجع**

١. شارلوت سيمث : موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، مراجعة محمد الجوهري،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ،٢٠٠٩.

٢. معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا : جمهورية مصر العربية مجمع اللغه العربية ، القاهرة ، ٢٠١٣،

٣. علي المكاوي ، فوزي عبد الرحمن : دراسات فى الأنثروبولوجيا الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة،٢٠٠٧ .

٤. علي المكاوي : السياق الاجتماع للمعتقد الشعبي ، فى الكتاب السنوي لعلم الاجتماع ، إشراف محمد الجوهري ، العدد الثالث ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٢.

٥. عدنان أبو مصلح : معجم علم الاجتماع، دار المشرق الثقافي ، عمان - الأردن،٢٠٠٦.

٦. فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس ابراهيم : الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠١٠

٧. فاروق محمد العادلى و عاطف أمين : مبادئ الأنثروبولوجيا مدخل اجتماعى ثقافى ، ٢٠٠٦.

٨. محمد الجوهرى : المفاهيم الاساسية فى الأنثروبولوجيا : مدخل لعلم الانسان ، دار المسيرة للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٨.

٩. _____ : الأنثروبولوجيا : أسس نظرية وتطبيقات عملية ، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، ١٩٩٩.

١٠. محمد الجوهري و سعاد عثمان : دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ١٩٩١.
١١. محمد الجوهري ، علياء شكري : مقدمة فى دراسة الأنثروبولوجيا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧.
١٢. محمد الجوهرى وعلياء شكرى وآخرون: الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج ، القاهرة ، مكتبة دار النصر ،٢٠٠٣.
١٣. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١١٠.
١٤. محمد عباس ابراهيم : مدخل الى علم الانسان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤.
١٥. محمد عباس إبراهيم : الثقافات الفرعية : دراسة أنثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية،١٩٨٥.
١٦. مرسي الصباغ: دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
١٧. نبيل فرج : العمارة الإنسانية للمهندس حسن فتحي،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٧٧.

١٨. William Karrabul: Sociology in a changing world, Harcourt Brocaded College Publishers, 1994, p: 45.
١٩. Diana Kendall: Sociology in Our Times , Thomson Wadsworth,United States,2004,P 60.
20. Adam Kuper, Jessica Kuper, The Social Science Encyclopedia, 2 Ed Rout ledge, New York, 2003.

21. Amos Rapoport from Wikipedia, the free encyclopedia http//www. encyclopedia.org/ eg

Encyclopedia of Ecology,Online version , 2008 :F. Steiner

22. H. J. Birx: Anthropology of Habitat and Architecture, "http://openanthcoop.ning.com.

23. James M.Henslin: Essentials of Sociology Adown to Earth Approach, Allyn and Bacon, London, 1996.

24. Joe Vander Meulen : Building a Sense of Place A Cooperative Approach to Discovering and Preserving Community Character The Land Information Access Association , April 1999.

25. Joel M.Charon: The Meaning of Sociology, 6ed, Prentice Hall, Upper Saddle River, New Jersey, 1999.

26. John P. Dean; Housing Design and Family Values, University of Wisconsin Press, Land Economics, Vol. 29, No. 2 (May, 2011), http://www.jstor.org.

27. Marion Blute; Encyclopedia of Archaeology, Press in Cambridge University 2010.